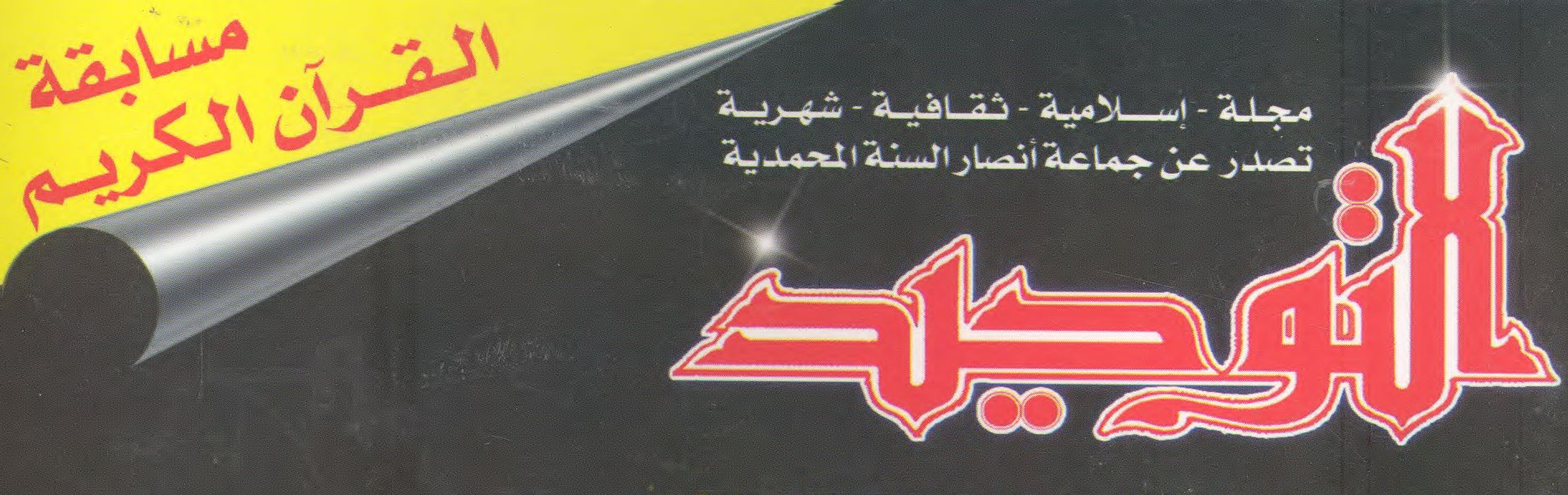
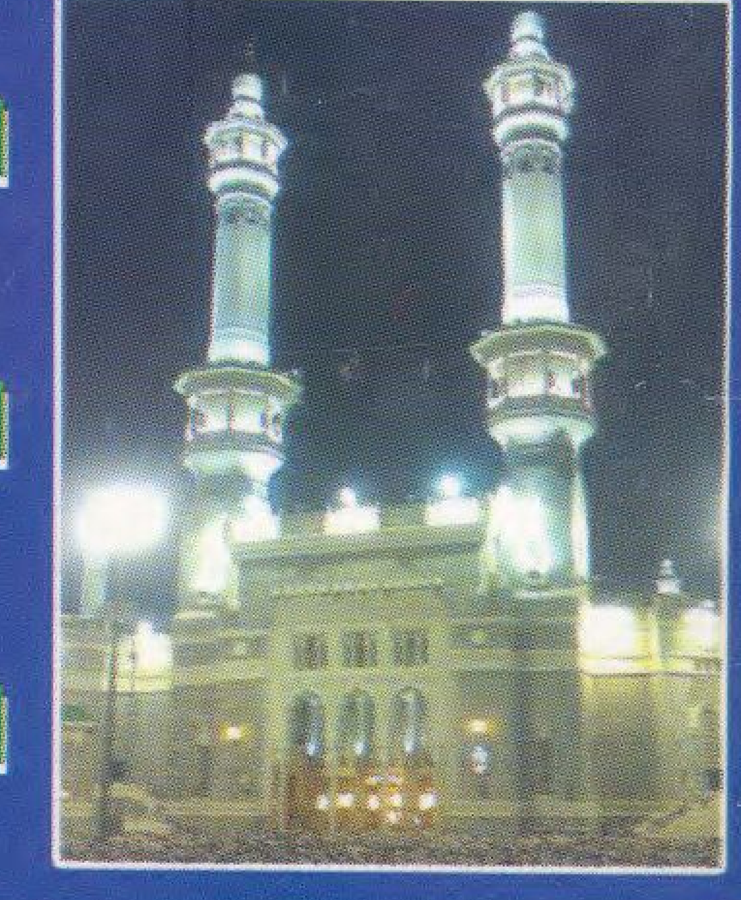


العدد ٤٣١ - السنة السادسة والثلاثون - ذو القعدة ١٤٢٨ هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً

مجمع البحوث والأزهر منارة في عيون المسلمين

- واجب الأمة نحو علمائها
- التوسل بين أهل السنة والصوفية
- حكم تقسيم الإنسان ماله على ورثته قبل وفاته

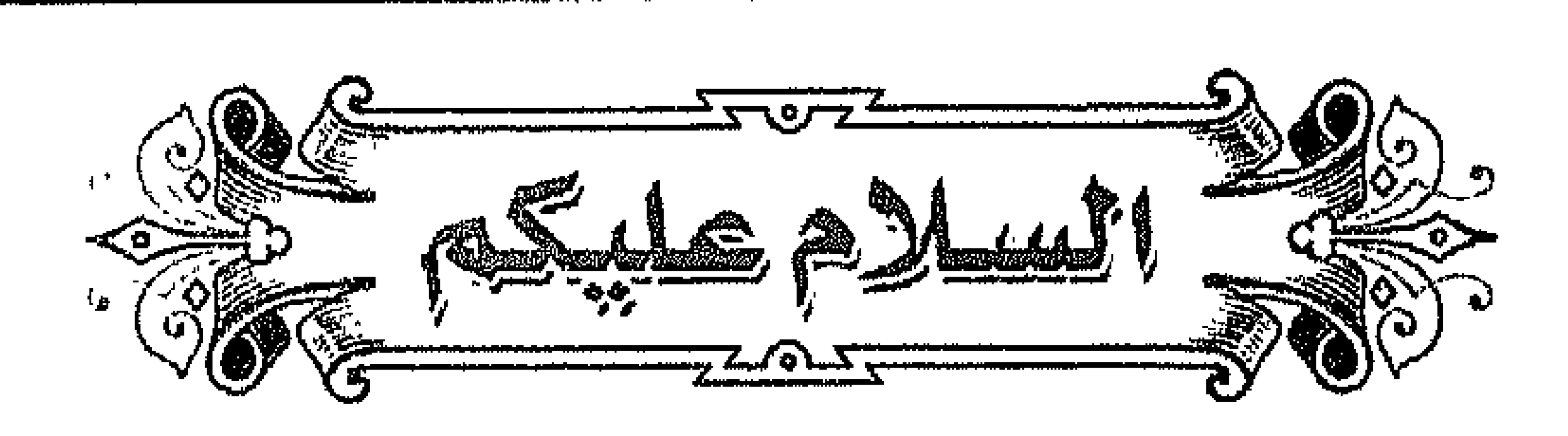


بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة
التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة السادسة والثلاثون
العدد ٤٣١ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ



التحرير
٨ شارع قولة - عابدين القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧- فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦- ٢٣٩١٥٤٥٦



التحفظ من العدو وإن أبدى لك المودة

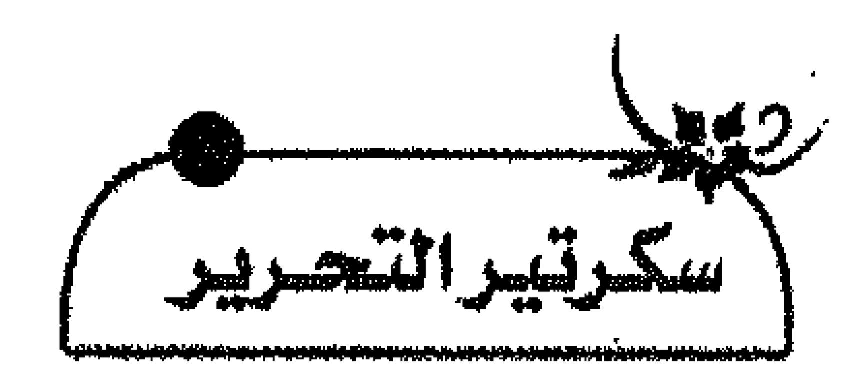
يرفض بعض الناس أن اليهود أعداء الملة، وإن قال القرآن الكريم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ويرون أن صداقتهم أفضل وأصلح، وإن قال الله تعالى: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]. فهل من العقل السليم أن يُترك كلام العليم الحكيم ورسوله الكريم ﷺ إلى الأهواء والنظر، والفلسفة وعمى البصر ؟ ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾؟ وقديمًا قالوا: لا تطمئن إلى العدو وإن أبدى لك المقاربة، وإن بسط لك وجهه، وخفض لك جناحه، فإنه يتربص بك الدوائر، ويضمر لك الغوائل، ولا يرتجي صلاحًا إلا في فسادك، ولا رفعة إلا بسقوط جاهك.

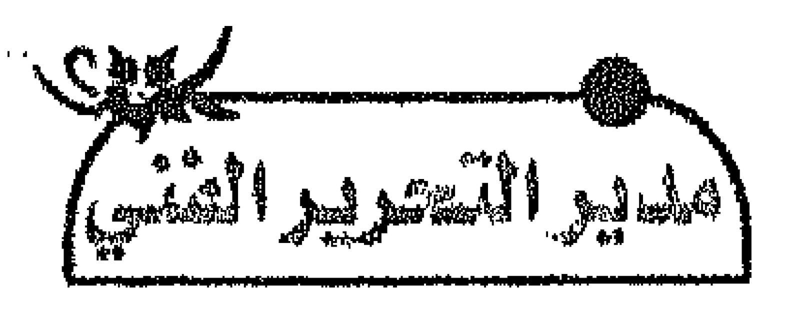
وقال بعض الحكماء : إذا أحدث لك العدو صداقة ؛ لعلة ألجأته إليك ؛ فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء تسخنه فإذا أمسكت عنه عاد إلى أصله باردًا، والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مرًّا.

وصدق المثل العامي القائل: لا تقل العدو حبيب حتى تقول الحمار طبيب.

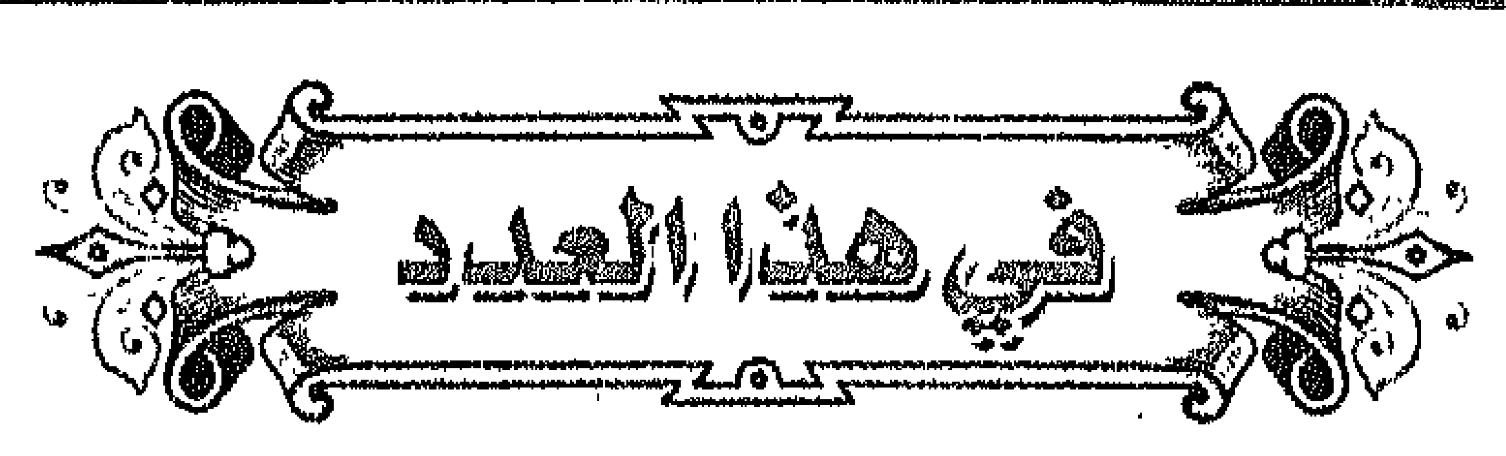
التحرير



رئيس التحرير
جمال سعد حاتم



مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط



في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالاً سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي -فرع القاهرة- باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم/ ١٩١٥٩٠)

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM



التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفرع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر







الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله رب العالمين.. واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين واشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد..

فإن من الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك من الخير، وتكره لأخيك ما تكره لنفسك من الشر فتعطي أخاك من الحق مثل الذي تحب أن تأخذه منه لو كنت مكانه ويكون ذلك بالأقوال والأفعال في الرضا والغضب مع من تحب ومع من تكره، فهذا هو خلق المؤمنين كما قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه ك الإيمان.

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه(ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من النفس، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار).

وفي دعاء النبي ﷺ : (اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى) أحمد والنسائي بسند صحيح.

وأصل ذلك في كتاب الله عز وجل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة٨).

قدم إلي أحد أبنائي من طلبة العلم غاضباً وسلمني رسالة يقول فيها «اطلعت على شبكة الإنترنت على أحد المنتديات السلفية، أو التي تدعي أنها سلفية فاستبشرت خيراً، وشاركت في المنتدى بصفتي عضوًا محبًا للمنهج السلفي ثم فوجئت بمنبر يطلقون عليه«أرشيف أهل الأهواء والانحرافات»، فلم أجد شيخاً معروفاً في مجال الدعوة إلى الله إلا وقدحوا فيه ونالوا منه ونسبوه إلى البدعة والضلالة والانحراف.

لكن الذي أفزعني شيخي الجليل هذا الذي سأتلوه عليك:

ورد سؤال من بعض الإخوة في ليبيا يسمعون لجمال المراكبي الذي يظهر في قناة الحكمة فما حال هذا الرجل ؟»

فأجاب أحد مشرفي المنتدى بقوله: «وعليكم السلام ورحمة الله، جمال المراكبي ، من جماعة أنصار السنة ، ومعلوماتي عنه أنه حزبي جلد ويدافع عن أهل الأهواء عندنا في مصر...

وليس عندي أقوال أهل العلم فيه إلا كلاما للقوصي- ردّه الله للحق- ، وكان ذلك من زمن بعيد...»

فكتب أحد الأعضاء متسائلاً:

هل كل من في جماعة أنصار السنة حزبيون، الرجل الذي تقدح فيه هو الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر. أتدرك ما تقول يا أخي؟ معنى هذا أن الجماعة كلها

حزبية، وهذا ليس صحيحًا، ثم من هم أهل الأهواء الذين يدافع عنهم؟ فأنا أشعر أن البلد على قياساتك كلها من أهل الأهواء. والله المستعان.

فرد المشرف هذا على الأخ وقال «من قال لك: إني قلت: إن كل من في جماعة أنصار السنة من المنحرفين عن السنة !!!!

ألا تدري بارك الله فيك أن الشيخ حسن عبد الوهاب البنا حفظه الله عضو في هذه الجماعة ؟؟

فلا تتكلم فيما لا تحسنه بارك الله فيك ولا تُقوّلني ما لم أقل !

راجع كلامي مرة أخرى يا رعاك الله خاصة قولي (جمال المراكبي ، من جماعة أنصار السنة ، ومعلوماتي عنه أنه حزبي جلد ويدافع عن أهل الأهواء عندنا في مصر... فهل تفهم من هذه الجملة أني أرمي جماعة أنصار السنة بكل أعضائها بالبدعة !!!؟

ثم تابع فقال «بالنسبة لقولك من أهل الأهواء الذين يدافع عنهم ؟؟

لتعلم يا أخانا الكريم أني ما قلت ذلك إلا نقلا عن كثير من المشايخ ولكن كما قلت سابقا ، ليس عندي كلام مسجّل لأحد المشايخ إلا كلاما لأسامة القوصي قال فيه عن المراكبي: إنه كان سببا في انحراف الجماعة عن الجادة بشكل كبير وأنه أدخل في الجماعة أنفاس الإخوانيين والتكفيريين.... وهو كلام قديم منذ أكثر من ست سنوات وكان القوصي أيامها على الجادة بشهادة أهل العلم جميعا ولكن لا أجيز لنفسي أن أضع له شيئا هنا بعد أن انحرف القوصي عن سواء الصراط وتكلم فيه علماء السنة في المملكة وفي اليمن الحبيب... فتنبه أخي الفاضل قبل أن ترمي الكلام على عواهنه، وهذا هو موقع المراكبي أمامك على الشبكة العنكبوتية فانظر فيه وأنت تعلم من هم أهل الأهواء الذين ينافح عنهم .

فانظر على سبيل المثال لحلقاته المعروضة على موقعه والتي خرج فيها في قناة الحكمة الحزبية !!!! التي يظهر عليها دائما !!! وكان معه مصطفى العدوي في إحدى الحلقات !! واستمع له وهو يثني على العدوي ثناءً عطرا!

أو انظر إن شئت إلى حلقاته المسجلة على قناة الناس المنحرفة !!! ، فهو دائم الظهور في هذه القناة التي حذّر منها العلماء ، وما أدراك ما قناة الناس ثم ما أدراك ما قناة الناس !

واقرأ مقالاته في مجلة التوحيد وطالع ثناءه المتواصل على محمد حسان والحويني ويعقوب ... إلخ القائمة السوداء !!!

يكفيك زيارة واحدة لموقعه الرسمي على الشبكة لتجد هذه الطوام.

فالرجل حاله ظاهر للجميع بارك الله فيك منذ سنوات عديدة ، وما تكلم فيه مشايخ مصر من فراغ ، فاسأل المشايخ فهم أحياء يرزقون ! ، فإن كنت لا تثق في نقلي فعليك بالمشايخ

قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: (وأما الحذر من الرجل في شهادته وأمانته ونحو ذلك ، فلا يحتاج إلى المعاينة، بل الاستفاضة كافية في ذلك، وما هو دون الاستفاضة ، حتى أنه يستدل عليه بأقرانه كما قال ابن مسعود: «اعتبروا الناس بأخدانهم» فهذا لدفع شره ، مثل الاحتراز من العدو..)

السياسة الشرعية...ص١٥٢ .

فما بالك بمن كان ممشاه ومدخله وألفته مثل المراكبي هذا ، بل وتكلم فيه أهل العلم أيضا ؟؟

ثم تابع هجومه على الأخ بقوله(أسلوبك هذا أسلوب غير مهذب و غير مقبول بارك الله فيك ، فأرجو عدم العودة لمثل ذلك ثانية حتى لا تتعرض عضويتك في المنابر للإيقاف ، وهذا ما لا أرجوه

وتذكر قول النبي ﷺ: " رحم الله عبدا قال خيرا وغنم أو سكت عن سوء فسلم "

وعندما يلتبس عليك شيء فراسل المشرف على الخاص ولا تتسرع هكذا على العام وتخوض فيما لا تفهمه وما لم تحط به علما ، ثم ترمي إخوانك-بسبب ذلك- بالتهم جزافا !! والله المستعان.

وهذا هو منهج كثير من المشتركين بالمنتدى حتى إننا وجدنا تصديقًا على قول هذا المشرف فقال عضو أخر:

«نعم جمال المراكبي مندمج مع الحزبيين ويدرس في مساجدهم ومسجد العزيز بالله فهذا الرجل حزبي ولم يظهر منه منهج سلفي جاد حتى الآن :فعلى الإخوة في ليبيا أن يغسلوا أيديهم من هذا الرجل».

فصدّق هذا المشرف على هذا القول وقال: «نعم ، هذا صحيح وله دروس ثابتة في مسجد العزيز بالله كما في جدول الدروس الذي على موقعه وهذا المسجد قال المشايخ إن كل من يدّرس فيه هم من التكفيريين أو الحركيين فليس فيه من أهل السنة أحد. بل حذّر بعض المشايخ من الذهاب إلى هذا الشارع- العزيز

بالله- أصلا، درءا للشبهات.

فصدّق عضو آخر وقال: «بارك الله فيكم فحال الرجل صار معروفًا ويكفينا انه يظهر على قناة الحكمة مع العدوي بارك الله فيكم».

فكتبت مستعيناً بالله أنافح عنكم وقلت: «لا أقول إلا كما قال إبراهيم عليه السلام وكما قال رسولنا محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل).

ما هذا الهراء الذي أرى وهذا الجرح غير المفسر الذي تنقلونه عن الشيخ جمال؟

ما هي أسس الجرح عندكم؟؟؟

هل من أسس الجرح أن تقول ليس عندي دليل على جرح الرجل إلا كلام لشيخ كان على الجادة ثم انحرف؟ ثم إنني لن آخذ كلامه بوجه الاعتبار وأين النقول عن أهل العلم المعتبرين في جرح الرجل وأنت تقول لم أقف على كلام أحد من أهل العلم؟ فهلا نقلت لنا قولاً واحداً نثبت به هذا الجرح وهل قرأت كلام الشيخ القوصي جيداً ورأيته يذكر جمال المراكبي تحديداً.

هل الرجل الذي يكتب عقيدة الإمام الشافعي ويؤكد أن عقيدة الإمام الشافعي هي عقيدة أهل السنة والجماعة وليست عقيدة الأشاعرة!! يقال عنه: إنه من أهل الأهواء والبدع؟

هل الرجل الذي يشرح أصول السنة عند أهل السنة والجماعة على القنوات الفضائية يقال إنه من أهل البدع؟

وبعد ذلك لم تأت بدليل آخر على جرح الرجل؟؟

مع العلم أن الشيخ أسامة القوصي لم يقصد الدكتور جمال المراكبي بقوله بل قصد الأستاذ جمال سعد وهذا رأي الشيخ وأنا لست بصدد أن أرد على الشيخ ولكني سقت هذا الكلام لكي أبين لك خطأك في نقل الدليل الذي جئت به في جرحك للشيخ.

ثم هل من أسس الجرح أن الشيخ إذا جلس مع مبتدع هل هذا يقدح في الشيخ؟؟

فهل أئمة السلف كالشافعي وأحمد وغيرهما من الأئمة الأعلام لما كانوا يجلسون مع المخالفين لهم في المنهج كان هذا يقدح في إمامتهم؟

لو أنصفت لعلمت منهج أهل السنة من الأئمة الأعلام في التعامل مع المخالفين فلو نظرت إلى فعل شيخ الإسلام ابن تيميه لما اجتمع عليه فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة في مصر ثم أجمعوا على سجنه وبعد فترة أخرجه الأمير وقال له ائذن لي أن اسجنهم أو اقتلهم فقال له الإمام «لا إنك إن سجنتهم لن تجد أمثالهم) هذا مع أنهم مخالفون له. فهذا والله هو المنهج القويم..

ثم إنك أخي شنعت على الأخ الذي اتهمك بأنك ترمي أنصار السنة كلها بالبدعة وقلت في الجماعة الشيخ حسن عبد الوهاب البنا وهو من علماء المنابر السلفية كما قلت ولذلك فأنا أوجهك إلى الشيخ الذي هو عضو في مجلس الإدارة الذي يرأسه الدكتور جمال المراكبي.

فهل الشيخ يقبل أن يكون عضواً في جماعة يرأسها مبتدع على حد زعمك؟؟

ثم ألم تكلف خاطرك أن تسأل الشيخ حسن البنا عن شيخنا المراكبي ليجيبك هل هو على الجادة أم انه من أهل الأهواء والبدع؟

ثم ألم تعلم أن دروس الشيخ في مسجد العزيز بالله وغيره من المساجد يشرح فيها (عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني) و(عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي) ويشرح (كتاب التوحيد من صحيح البخاري) (وكتاب الإيمان من الصحيحين)؟

هل طالعت هذه الدروس وهي موجودة على موقع الشيخ؟ أم جرحت الشيخ لأنه دخل مسجد العزيز بالله أو مشى في شارع العزيز بالله؟

ثانياً: أنا لن أجيبك إلا بما ألزمت نفسك به وسأنقل لك نماذج من أقوال المشايخ في جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر وفي شيخنا جمال المراكبي. تباعاً لتعود إلى الحق وتمحو البهتان الذي رميت به الشيخ إن كنت رجاعاً إلى الحق!!

هذا تحديداً ما كتبته أنافح به عنك شيخي الجليل.

فما كان منه إلا أن حذف مشاركتي وحظر عضويتي بالمنتدى من غير أن يرد علي أو يبين لي خطأ قولي إن كنت قد أخطأت. وهذا يدل على سوء فعله وسوء منهجه فأختم بما بدأت به(حسبنا الله ونعم الوكيل)..

هذا ما كتبه ابننا المبارك تحديداً وأنا لا أملك أن أعلق عليه إلا بقول نبينا محمد ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.) وبقوله ﷺ(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

وقديماً تعرض أئمة السنة لمثل هذا النقد من أمثال هؤلاء الأغمار، فقد ذكر الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث بإسناده إلى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال (قدم ابن المبارك الري (مدينة مشهورة من أعمال خراسان) فقام رجل الظن به أنه يذهب مذهب الخوارج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر ؟ قال لا أخرجه من الإيمان.فقال:يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً؟ فقال:لا تقبلني المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة، ولو علمت أنه قبلت مني حسنة لشهدت أني في الجنة).(عقيدة السلف أصحاب الحديث صـ٢٧٤) وكذلك أقول لك يا أخي الحزبيون لا يقبلونني وأهل الأهواء يهاجمونني لأنني على رأس جماعة تنصر السنة وتدحض البدعة وأنا بفضل الله أعلم منك بعيوب نفسي وأنعم بستر ربي ودائماً اردد مقولة القحطاني:

والله لو علموا قبيح سريرتي
لأبى السلام عليّ من يلقاني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي
ولبؤت بعد كرامة بهوان

ورحم الله أبا حاتم الرازي حينما قال(علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حشوية يريدون بذلك إبطال الآثار. وعلامة القدرية: تسميتهم أهل السنة مجبرة(١). وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة. وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل الأثر نابتة (٢) وناصبة (٣).

قال الإمام الصابوني (وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، وهو أصحاب الحديث

وأنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله ﷺ، فإنهم اقتسموا القول فيه: فسماه بعضهم ساحراً، وبعضهم كاهناً،وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفتوناً، وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً. قال الله عز وجل ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾.

كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره، ونقلة آثاره، ورواة أحاديثه، المقتدين بسنته، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية.

وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة وعلمائها، وأنصارها،وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار.

ولقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة، ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله ومنة.

الهوامش

١- مجبرة: نسبة إلى الجبر وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى من غير استطاعة من العبد أصلا.

٢- نابتة: اي من الأحداث الأغمار.

٣- ناصبة: هم الذين ينصبون العداوة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه.

إضافة وتعليق

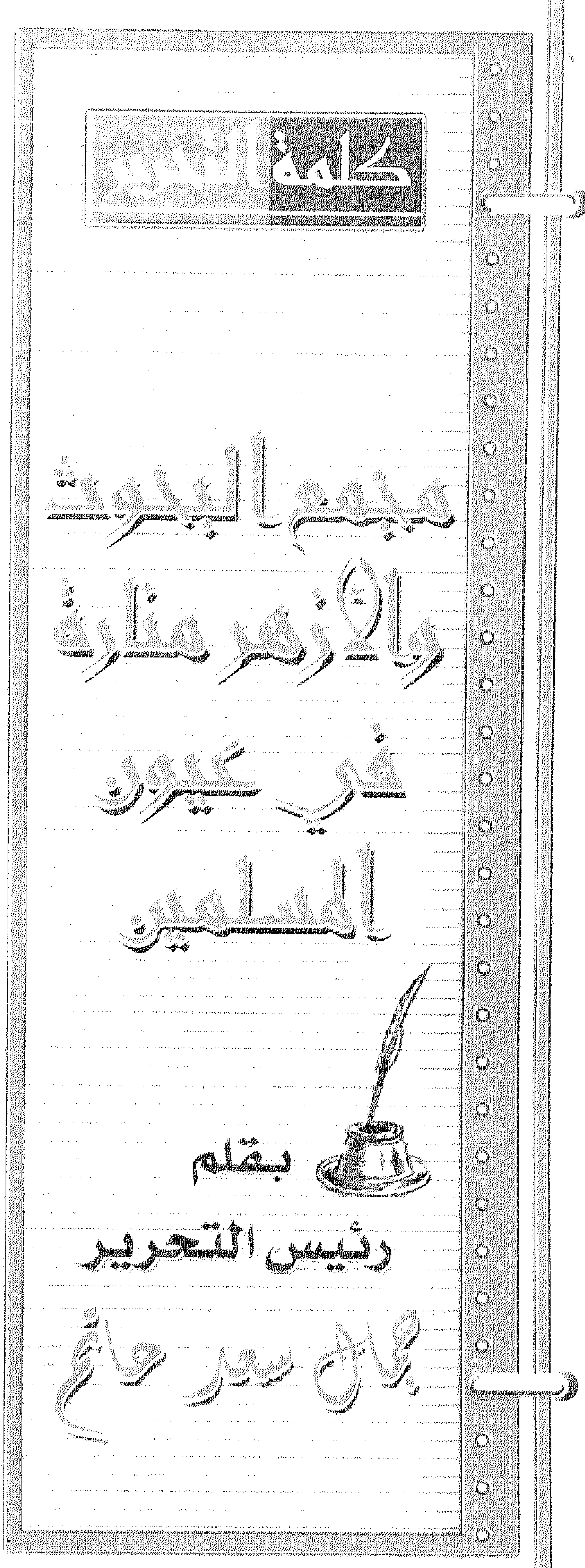
ذكر طالب العلم الذي كان يدفع الكذب والبهتان عن الدكتور جمال المراكبي، أن عضو المنتدى استدل بكلام أسامة القوصي عن الأستاذ جمال سعد رئيس تحرير مجلة التوحيد خطأً فذكر مكانه الدكتور جمال المراكبي. والحق أن ما رمى به القوصي رئيس التحرير ليسًا صحيحًا، وقد جانبه فيه الصواب.

وكذلك استدلال عضو المنتدى على حزبية الدكتور جمال المراكبي بجلوسه مع الشيخ مصطفى العدوي- حفظه الله- مبني على الهوى لأن الشيخ العدوي من أنصار السنة، وأنصار السنة منه، وهو مشهود له بالخير في العلم الدين.

وأما عن تدريس الدكتور جمال المراكبي في مسجد العزيز بالله فلا دلالة فيه على ما قاله عضو المنتدى من حزبية الدكتور جمال، فمسجد العزيز لا يدرس فيه الدروس ولا الخطب إلا دعاة أنصار السنة وليس بينهم حزبي ولا حركي.

وأخيرًا فإن عضو المنتدى يحيل محدثه ومستمعيه إلى سؤال المشايخ عن الدكتور جمال، فمن هؤلاء المشايخ الوهميين الذين ذكرهم ولم يسم أحدًا منهم؟!

اللجنة العلمية



الحمد لله قدّر الآجال وكتب الأعمال، وأسبغ النعم وتوعد جاحدها بالنِّقَم، فمن شكر زاده من إنعامه، ومن كفر كاده بانتقامه، ونشهد أن لا إله إلاّ الله شهادةً تهدى المخلص بها سواء السبيل، وأن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

وبعد : -

إن المسلمين فى هذه العصور المتأخرة هم أكثر الناس آلاماً، وأوسعهم جراحاً، ولعل أرضهم وديارهم وأموالهم هى التى تستأسدُ الحُمر بها، والمسلمون مع كل ذلك يتجرعون هذه الجراجات فى صياصيهم وهم لايكادون يسيغونها، ويحملون معها أثقالاً إلى أثقالهم، إنهم يُدّعُون إلى الاستكانة والاستذلال دعًا، وتتقاذفهم مضارب الغالبين إلى أن يعترفوا بأن حقهم باطل، وباطل غيرهم حق، ويزج بهم فى كل مضيق من أجل أن يقلبوا الحقائق ويتقبلوا أضدادها على مضض .

والمتأمل فى هزائم المسلمين المتلاحقة وضعفهم الحثيث واستكانتهم المستحوذة عليهم أمام أعدائهم يجد أنها لم تكن بدعاً من الأمر، ولا هى نتائج بدون مقدمات، ولم تك قط قد قفزت هكذا طفرة دونما سبب، وإنما هى ثمرة خلل وفتوق فى ميدان الأمة الإسلامية وتقصير ملحوظ تجاه خالقها ورسولها ﷺ ودينها وهذه الثغرات والفتوق هى التى أثارها أعداء الإسلام بما يبثونه عبر سنين عديدة من المكر والخداع على الإسلام والمسلمين.

مجمع البحوث والأزهر إلى أين ؟!!

وإذا كنا نخرج عن تلك المقدمة لنبحث عن أسباب لما آل إليه حالنا لنتحدث عن منارة من المنارات فى عين كل مسلم على ظهر تلك المعمورة فأزهرنا الشريف والذي نشرف بالانتماء إليه على ما قد أصابه من الوهن الذى أصيبت به الأمة ومايحتويه من مؤسسات يأتى على قمتها مجمع البحوث الإسلامية قمة المرجعيات الإسلامية فى العالم، وقد أصبح فى السنوات الأخيرة مرمى لسهام عديدة، ومحلاً لاتهامات كثيرة .

إن مجمع البحوث الإسلامية أُنشىء ليحل محل هيئة كبار العلماء والتى كانت مرجعية للمسلمين فى جميع

أنحاء المعمورة حيث كان المسلمون يلجأون إليها لمعرفة الأحكام الدينية لكل مشكلات الأمة.

وقد كانت هيئة كبار العلماء تجمع الأمة الإسلامية من حولها، وتنشر بينها الفكر الإسلامي السمح المعتدل وكان المسلمون يحتكمون لهيئة كبار العلماء في جميع معضلات الأمة وهمومها وأحكامها، والتاريخ خير شاهد على ذلك، أن كلمتها كانت مسموعة، ومكانتها مرموقة، وهيبتها مصونة، فقد كانت هيئة عالمية بما تحمله هذه الكلمة من معان وماتستند إليه من حقائق وأدوار قامت بها الهيئة فى حياة الأمة الإسلامية.

ولايزال قانون إنشاء مجمع البحوث الإسلامية ينص على أن يضم فى عضويته ٢٠ عضواً من كبار علماء العالم الإسلامي، وكان من بين من نذكرهم من أعضائه الشيخ الحبيب بلخوجة الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والشيخ عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف الأردنى الأسبق، والشيخ صالح فرفور مفتى سوريا الأسبق وآخرون كثيرون .

ومما لاشك فيه أن وجود هؤلاء العلماء مع إخوانهم من علماء الأزهر الشريف الذين أثروا الدنيا بعلومهم وعلمهم ومعارفهم كان يضفى على المجمع مكانة مرموقة فى قلب كل مسلم، وكانت ريادته سائدة فى العالم الإسلامي، أما الآن فقد خلا المجمع من أعضائه من العالم الإسلامي وتحول دوره من العالمية إلى المحلية فى زمن الأمة فيه فى أمس الحاجة لوجود هذا المجمع لجمع شتات الأمة ونبذ الفرقة والخلاف والتشتت، وتأصيل ثوابت هذا الدين الحنيف. ونشر التوحيد، ومحاربة الشرك، ومحو البدع التى انتشرت فى الأمة، والمجمع هو روح الأزهر وعموده الفقرى، ولاينبغى أن يتوقف دوره عند فحص الكتب لبيان الرأى فيها فتلك جزئية صغيرة من المهام العظام التى تشمل متابعة مناهج الدراسات الإسلامية بمعاهد الأزهر وجامعته، والعمل على إستمرار تطويرها لضمان تخريج أجيال جديدة من الدعاة تحسن فهم الإسلام، وتقديمه للناس فى صورته الحقيقية السمحة المعتدلة، ومتابعة ما ينشر عن الإسلام في كل مكان وخاصة الإساءات المتكررة للإسلام والمسلمين، والبذاءات التى توجه لنبى البشرية ورسول الإنسانية سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ فى الغرب، كما ينبغى إعادة النظر فى تشكيل المجمع ليضم بين صفوفه العلماء الكبار القادرين على النهوض بدوره، وإعادته مرجعية عالمية للمسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى!!

خبراء.. فى مقاعد العلماء

وفى بداية إنشاء مجمع البحوث الإسلامية بديلاً عن هيئة كبار العلماء كانت تضم كما أسلفنا عدداً من كبار العلماء فى العالم الإسلامى الذين كانوا يتصدون مع اخوانهم من العلماء فى مصر الأزهر للمستجدات فى حياة الأمة بالبحث والدراسة والمناقشة، ثم الخروج بقرارات فى هذه القضية أو تلك مما يهم المسلمين في كل أنحاء العالم .

وقد استمر الحال على هذا النحو عدة سنوات حتى الثمانينيات، حيث تغير الأعضاء الذين كانوا يستعينون بخبراء مهندسين وأطباء وفلكيين وغيرهم، وأصبح الخبراء أعضاء، الأمر الذى ساعد على إزاحة العلماء، وانكماش الجانب الفقهى فيه بعد أن احتلّ الخبراء أماكن الأعضاء الذين يبلغ عددهم حالياً نحو سبعة وثلاثين عضواً بينهم سبعة فقط من الفقهاء الذين يصدر بهم الأحكام الفقهية فى القضايا المستحدثة فى حياة الأمة الإسلامية !!

وأى قضية تناقش فى المجمع تبدأ فى اللجان وقد ينتهى فقهاء المجمع إلى رأى ثم تطرح القضية للتصويت أمام جميع الأعضاء، وغالبيتهم غير متخصصين فى الفقة الإسلامي، وقد تأتى الأغلبية عند التصويت بما يخالف ماانتهى إليه رأى الفقهاء، كما حدث فى قضية فوائد البنوك حيث أصدر فيها المجمع بتشكيله الحالى قراراً يخالف القرار الصادر عن المجمع نفسه فى نفس القضية عام ١٩٦٥م.

كما أن غياب أعضاء المجمع من علماء العالم الإسلامى يجعل قراراته لاتمثل إجماع المسلمين، ويجعل الحاجة ملحّة لإعادة النظر فى تشكيل مجمع البحوث الإسلامية حتى يستعيد ريادته فى خدمة أمته، ويواصل دوره الذى بدأه كمرجعية إسلامية عليا للمسلمين فى العالم.

لا شك أن تحول دور مجمع البحوث الإسلامية من الطليعة التي كان يتطلع إليها المسلمون في العالم الإسلامي إلى الهاوية حتى أصبح المجمع مهمشا وضعيفا في زمن الأمة فيه في أمس الحاجة لوجود هذا المجمع

المجمع والشفرة القرآنية

وفى ظل حالة الضعف والهوان التى تمر بها الأمة وتنطلى تلك الحالة على واحد من أهم المجامع الفقهية فى العالم عندما عُرضت عليه قضية من القضايا التى لاقت معارضة شديدة من العلماء خاصة بعد قرار فضيلة الأمام الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بإحالة مشروع الشفرة القرآنية إلى لجنة علوم القرآن، وهى إحدى لجان مجمع البحوث الإسلامية وهو المشروع الذى قدمه رجل الأعمال الدكتور إبراهيم كامل بعد أن رفضه مجمع البحوث الإسلامية جملة وتفصيلاً خلال إجتماعة فى يونيو الماضى.

وقد اعتبر العلماء قرار فضيلة الإمام محاولة لإعادة النظر فى قرار المجلس والضغط على أعضائه لانتزاع موافقة علماء الأزهر على المشروع، مع رفض لجنة علوم القرآن للمشروع عندما عُرض عليها فى وقت سابق، وأن إحالة المشروع مرة أخرى إليها يثير العديد من التساؤلات، خاصة أن أصحاب المشروع زعموا الإعلان عن حصولهم على موافقة الأزهر .

وكان الدكتور إبراهيم كامل وزوجته «أم نور» قد أعلنا فى مايو الماضى عن توصلهم إلى مشروع الشفرة العددية للقرآن، وهو الكشف الأول من نوعه منذ تزول القرآن الكريم وذلك من خلال تكنولوجيا الحاسب الآلى الذى من خلاله يمكن اكتشاف أى خطأ أو تحريف فى أى من حروف القرآن اعتماداً على الرقم «١٩» .

وقد لاقى هذا المشروع رفضاً تاماً من أعضاء المجلس وخاصة الدكتور عبد الفتاح الشيخ مقرر لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث خاصة وأن هناك ثلاثة من أعضاء المجمع يعملون كمستشارين دينيين لصاحب المشروع وهم الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية السابق، والدكتور عبد الله النجار، والدكتور محمد الشحات الجندى، فتقدم بطلب لمناقشة المشروع فى جلسة المجمع، وعقدت له جلسة نهاية شهر مايو بمجمع البحوث حيث شهدت مناقشات ساخنة انتهت برفض المشروع لأنه يسيىء للإسلام ويشوه صورته لاسيما وأن المشروع قد سبق عرضه على جامعة مكة المكرمة ورفضته لأن تطبيقه سيؤدى إلى حذف بعض سور القرآن الكريم مما دفع صاحب المشروع إلى تقديم بلاغ للنائب العام ضد الدكتور/ عبد الفتاح الشيخ يتهمه فيه بسبّ الرقم «١٩» . فهل يتقدم صاحب المشروع ببلاغ إلى النائب العام ضد أعضاء مجمع البحوث الإسلامية لرفضهم بحث هذا المشروع مرة أخرى !!

زعيم «القرآنيين» يطالب واشنطون بإنقاذ أنصاره

وتبعاً لحالة الضعف والهوان التى تمر بها أمتنا الإسلامية وأزهرنا الشريف ومجمع بحوثه، يطلع علينا واحد ممن ينسبون

أنفسهم إلى أزهرنا الشريف راكباً موجة اللجوء لأمريكا من قبل بعض الجماعات وبعد صدور تقرير لجنة الحريات الدينية الأخير، والذى انتقد الحريات الدينية فى مصر، والذى جاء فيه: أن مصر لم تحقق تقدماً ملحوظاً فى مجال السماح بممارسة الحرية العقائدية كما ذكر فيه عدم السماح للقرآنيين والشيعة والبهائيين بممارسة شعائرهم العقائدية بحرية، طالب أحمد صبحى منصور مؤسس مايعرف بجماعة القرآنيين الإدارة الأمريكية بالتدخل لإنقاذ حركته مما أسماه «التقويض» والضغط على السلطات المصرية للإفراج عن المعتقلين من أتباعه الذين زعم تعرضهم للضرب وتهديدهم بالإعتداءات الجنسية.

وقد ناشد السلطات الأمريكية السماح لأتباعه فى مصر الذين قدر عددهم بأنهم يزيدون على الألف بالدخول إلى الولايات المتحدة، ومنحهم اللجوء السياسى أسوة بما حدث معه بعد أحداث ١١ سبتمبر للعمل على تأسيس ماأسموه بنموذج الإسلام المعتدل كما ذكرت صحيفة «واشنطون تايمز» الأمريكية !!

وشنَّ منصور هجوماً على السلطة المصرية متهماً إياها بتقويض «القرآنيين» لتظهر بمظهر حامية الدين فى الوقت الذى أكد فيه منصور للصحيفة: «إن كثيراً من الأمريكيين لايدرون أننى فى حرب ليست بالمفهوم العسكرى، وإنما حرب أفكارٍ لثقافة الوهابيين التي أفرزت الإرهاب الذي كان نتاجاً لنفايات الأحاديث النبوية الشريفة.

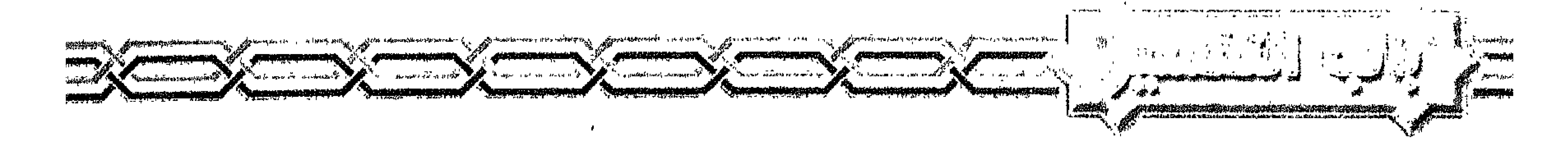
في غياب دور الأزهر زعيم مؤسسي القرآنيين "أحمد صبحي منصور" يستعدي الأجهزة الأمريكية على المسلمين في مصر للدفاع عن باطله وفرقته المارقة مناشداً واشنطون لمساعدة أنصاره وأتباعه وتمكينهم من ممارسة أفكارهم المنحرفة بحرية كاملة

سبل الخروج من الهوان والفتن

إن فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مايكشف أسباب الإنكسار، ويبين دواعى التفكك الذى يصيب المسلمين بعامةٌ بين الحين والآخر، فقد بين الله فى محكم التنزيل مايدلُ على ناموسه وسنته فى الناكصين والظلمة قال تعالي: (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بأيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوى شديد العقاب، ذلك بأن الله لم يكُ مُغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا مابأنفسهم وأن الله سميع عليم لله) «الأنفال ٥٣»، وقال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) «الشورى ٣٠».

إننا نهيب بعلمائنا ومشايخنا من رجال الأزهر الشريف أن اجمعوا أمركم، واعقدوا على وفق الشرع مجامعكم ومجالس أقسامكم وكلياتكم وهيئاتكم وجامعتكم، واستوثقوا لدينكم. لرفع راية الأمة ونشر التوحيد.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولاتكلنا إلى أنفسنا فنضل، ولا إلى غيرك فنزل . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين !!



سورة الانشقاق

يقول الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ١- ٢٥].

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، وهي ثالثةُ الثلاثِ التي قال فيها النبي ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عينٍ فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ ».

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ يعني: يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣- ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: سَمِعت وأطاعت، ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحُقّ لها أن تسمَعَ وتُطيع، لأنها من خلق الله، ولا يحق لمخلوق أن يَعْصيَ الله سبحانه،

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: سُوّيتْ فلم يبق فيها عوجٌ ولا أَمْتٌ، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾

[طه: ١٠٥- ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: ألقتْ ما في بطنها من الأموات وتخلّت عنهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١، ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: سمعت وأطاعت لأمر ربها، وحُق لها أن تسمع وتطيع.

وجوابُ الشرط في هذه الآيات محذوفٌ، تقديره: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ كما في سورة التكوير، أو

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ كما في الانفطار.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ الإنسان هنا عموم الإنسان، المؤمن والكافر، فالمؤمن يكدحُ، والكافر يكدحُ، والكدحُ هو الجهدُ والمشقة في العمل، وكلّ إنسان كادحٌ، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] أي: في تعب ومشقة، والعاقل من جعل تعبه وكدحه في سبيل الله حتى إذا مات استراح، واليائس من كان تعبد لغير الله، فإذا مات شقيَ في العذاب شقاءً أشقّ من شقاء الدنيا، كما قال ﷺ، وقد مرّت عليه جنازةٌ: «مُستريح، أو مستراحٌ منه». فقالوا: يا رسول الله، ما المستريح، والمستراحُ منه ؟ فقال: «العبد المؤمن يستريحُ من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبدُ الفاجر يستريح منه العبادُ، والبلادُ، والشجرُ، والدواب». [متفق عليه].

ولذا قال تعالى حكايةً عن أهلِ الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

[فاطر: ٣٤، ٣٥].

أما أهل النار فقد قال تعالى عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾

[فاطر: ٣٦، ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ فَمُلَاقِيهِ ﴾ قال العلماء: الضميرُ صالحٌ للعودِ على الكدح، فيكون المعنى أنّ كل إنسانٍ سيلاقي عمله، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ﴾

[آل عمران: ٣٠].

كما أن الضمير صالحٌ للعود على الربّ عز وجل، والمعنى: أن الإنسانَ سيلاقي ربه، وسيجزيه بعمله، وعلى كلّ حال: فإن لقاءَ العمل لا يكون إلا بعد لقاء الله، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ويومئذٍ تتطاير صحفُ الأعمال، التي سجلها الكرام الحافظون ويأخذُها الناس: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ يعني: يُعْرض على الله فيعفو عنه، ولا يدقّق عليه جميع أعماله.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ». قالت: فقلتُ: أفليس قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ قال: «ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نُوقِشَ الحساب يوم القيامة عُذب». [متفق عليه].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أي: يرجعُ إلى أهله في الجنة فَرِحًا مغتبطًا بما آتاه الله.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ قال بعض العلماء: إذا تطايرت الصحفُ انقسم الناسُ ثلاثة أقسام: أصحابُ اليمين، وأصحابُ الشمال، والقسم الثالث هو مَن أُوتي كتابه وراء ظهره، والراجحُ أن الناس يكونون عند تطاير الصحف قسمين اثنين لا ثلاثة: أصحابُ اليمين، وأصحابُ الشمال، غير أنّ أصحاب الشمال تُثْنَى يدُ أحدهم إلى ورائه، ويُعْطَى كتابه بها كذلك.

وقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ أي: خسارًا وهلاكًا، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾

[الفرقان: ١١-١٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾

[الحاقة: ٢٥-٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ فسره في موضع آخر فقال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٧]، وذكر هنا سبب هلاكه فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، على خلاف المؤمنين ﴿الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾، [المعارج: ٢٧-٢٨] فالمؤمنون في الدنيا خائفون، فأمنهم الله يوم القيامة، قال تعالى وقد وصف نعيمهم: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾

[الطور: ٢٥-٢٨]،

والكافرون في الدنيا آمنون، فكان جزاؤهم ما ذكر: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾، والسبب كما قال الله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: أنه كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله، وأنّ الله لن يعيده كما كان، ﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ يعني: بلى، سيعيده الله كما كان، وسيجزيه بعمله، فإنه كان به بصيرًا، أي عليمًا خبيرًا.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ وهو هذه الحُمْرة التي تكون بعد الغروب، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: وما جمع وضمّ تحت ظُلْمته، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي: تم وصار بدْرًا، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ جواب القسم، وقد قال العلماء فيه نحوًا من سبعة وعشرين قولاً، ولعل أرجحها: لتنتقلُن أيها الناس يوم القيامة من مَشهدٍ إلى مشهدٍ، ومن موقفٍ إلى موقف، ومن حالٍ إلى حال، فالله المستعان.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا تعجبٌ من كُفْر الكافرين، ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾، والقرآنُ يتلى عليهم، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾

[المرسلات: ٥٠]،

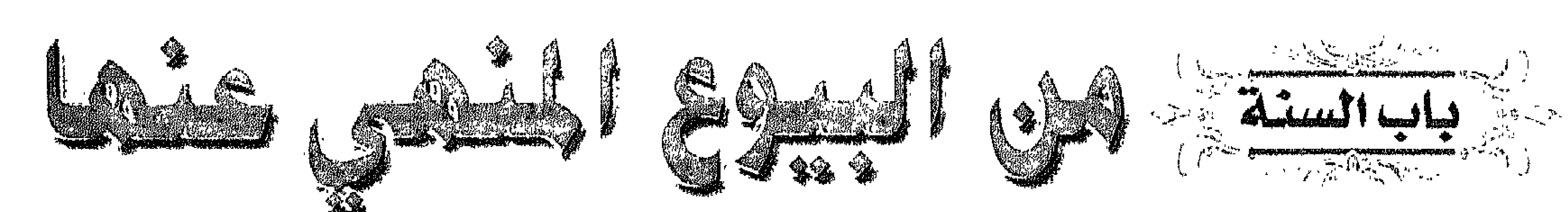
﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

[الجاثية: ٦]،

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ أي: مِنْ طبعهم التكذيب والعناد والمخالفة، ولو أرادوا الإيمان لآمنوا بهذا القرآن، ولكنّ هذا دأبُهم، وتلك سجيتهم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: بما يكتمون في صدورهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وليست هذه بشارةً، وإنما هو التهكم والسخرية، فإنّ البشارة تُطلَق على ما يُفْرِح ويَسُرّ، حتى يظهر السرور على البشرة، والمعنى: فأخبرهم بأنّ الله قد أعدّ لهم عذابًا أليمًا، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يعني: لكن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، فلهم في الآخرة أجرٌ دائمٌ لا ينقطع، كما قال تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾

[هود: ١٠٨].

والحمد لله رب العالمين.



باب السنة

من البيوع المنهي عنها

إعداد/ زكريا حسيني

الحلقة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

نواصل ما بدأناه في العدد الماضي حول صور البيوع المنهي عنها، فقد تحدثنا في العدد السابق: عن بيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع ما لم يقبضه، وفي هذا العدد نتحدث - بمشيئة الله تعالى - عن :

٣- بيع الغرر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحَصَاةِ وعن بيع الغَرَرِ .

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب «بطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر» برقم (١٥١٣)، وأبو داود في باب «في بيع الغرر» برقم (٣٣٧٦) ، والترمذي في باب «ما جاء في كراهية بيع الغرر» برقم (١٢٣٠) ، والنسائي في باب «بيع الحصاة» برقم (٤٥٢٢)، وابن ماجه في باب «النهي عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر» برقم (٢١٩٤)، وأخرجه برقم (٢١٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٤٣٦، ٤٩٦).

شرح الحديث

أما الغرر فمعناه - كما قال في النهاية -: هو ما كان له ظاهر يَغُرُّ المشتري وباطن مجهول ، ونقل عن الأزهري قوله : بيع الغرر : ما كان على غير عهدة ولا ثقة، وتدخل فيه البيوع التي لا يحيط بكنهها المتبايعان من كل مجهول .

قال النووي في شرح صحيح مسلم : وأما النهي عن بيع الغرر فإنه أصل عظيم من أصول كتاب البيوع ، ولهذا قدمه مسلم ، ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة كبيع الآبق - أي العبد الهارب من سيده - والمعدوم والمجهول ، وما لا يقدر على تسليمه ، وما لم يتم ملك البائع عليه ، وبيع السمك في الماء الكثير ، واللبن في الضرع ، وبيع الحمل في البطن ، وبيع بعض الصبرة مبهمًا (والصُّبْرَةُ معناها: الكُومَةُ من الطعام)، وبيع ثوب من أثواب، وشاة من شياه (أي دون تعيين)، ونظائر ذلك ، فكل هذا بيعه باطل ؛ لأنه غَرَرٌ من غير حاجة ، قال : وقد يحتمل (أي يُعفى عن) بعض الغرر تبعًا إذا دعت إليه حاجة كالجهل بأساس الدار ، وكما إذا باع الشاة الحامل ، والتي في ضرعها اللبن ، فإنه يصح البيع ؛ لأن الأساس تابع للظاهر من الدار ، ولأن الحاجة تدعو إليه فإنه لا يمكن رؤيته ، وكذا القول في حمل الشاة ولبنها ، وكذلك أجمع المسلمون على جواز أشياء فيها غرر حقير ؛ منها أنهم أجمعوا على صحة بيع الجُبَّة المحشوة وإن لم يُرَ حَشْوُها ، ولو بيع حشوها بانفراده لم يجز (وكذا كل لباس له حشو باطني غير ظاهر يجوز بيعه دون رؤية الحشو)، قال : وأجمعوا على جواز إجارة الدار والدابة والثوب ونحو ذلك شهرًا ، مع أن الشهر قد يكون ثلاثين يومًا ، وقد يكون تسعة وعشرين يومًا ، وأجمعوا على جواز دخول الحمام (للاستحمام) بالأجرة مع اختلاف الناس في استعمالهم الماء، وفي قدر مكثهم، وأجمعوا على بطلان بيع الأجنة في البطون والطير في الهواء.

ثم قال : قال العلماء : مدار البطلان بسبب وجود الغرر، والصحة مع وجوده على ما ذكرناه، وهو أنه: إن دعت الحاجة إليه إلى ارتكاب الغرر، ولا يمكن الاحتراز عنه إلا بمشقة، وكان الغرر حقيرًا جاز البيع، وإلاَّ فلا.

قال : وما وقع في بعض مسائل الباب من اختلاف العلماء في صحة البيع فيها وفساده ؛ كبيع العين الغائبة مبني على هذه القاعدة ، فبعضهم يرى

أن الغرر حقير فيجعله كالمعدوم فيصح البيع ، وبعضهم يراه ليس بحقير فيبطل البيع ، والله أعلم.

قال الإمام الترمذي عقب هذا الحديث : وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس وأبي سعيد وأنس .

قال المباركفوري في التحفة : أما حديث ابن عمر فأخرجه البيهقي وابن حبان ، قال الحافظ : إسناده حسن ، وأما حديث ابن عباس فأخرجه ابن ماجه وأحمد ، وأما حديث أبي سعيد فأخرجه ابن ماجه، وأما حديث أنس فأخرجه أبو يعلى ، وفي الباب أيضًا عن سهل بن سعد عند الدارقطني والطبراني ، وعن علي عند أحمد وأبي داود، وفي الباب أحاديث أخر ذكرها الحافظ في التلخيص الحبير، والعيني في شرح البخاري.

وقال الترمذي أيضًا : والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم ؛ كرهوا بيع الغرر . اهـ .

واعلم أن الكراهة هنا للتحريم وليست للتنزيه . كما مر بك في شرح النووي الذي سقناه في قوله : وكل هذا بيع باطل . والتحريم يقتضي البطلان ، وكذلك البطلان يقتضي التحريم .

وقد بوب البخاري في الصحيح : باب بيع الغرر وحَبَلَ الحَبَلَة.

قال الحافظ في الفتح بعد أن ضبط «حبل الحبلة»، وتكلم عليه من حيث اللغة، قال: ولم يذكر - أي البخاري - في الباب بيع الغرر صريحًا ، وكأنه أشار إلى ما أخرجه أحمد من طريق ابن إسحاق حدثني نافع ، وابن حبان من طريق سليمان التيمي عن نافع عن ابن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الغرر ، وقد أخرج مسلم النهي عن بيع الغرر من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه من حديث ابن عباس ، والطبراني من حديث سهل بن سعد ، ولأحمد من حديث ابن مسعود رفعه : «لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر» وشراء السمك في الماء نوع من أنواع الغرر ، ويلتحق به الطير في الهواء ، والمعدوم والمجهول والآبق، ونحو ذلك .

أنواع الغرر

قال النووي : واعلم أن بيع الملامسة وبيع المنابذة وبيع حَبَل الحَبَلَة وبيع الحصاة وبيع عَسْبِ الفحل وأشباهها من البيوع التي جاء فيها نصوص خاصة ، هي داخلة في النهي عن بيع الغرر ، ولكن أفردت بالذكر ونهي عنها لكونها من بيوع الجاهلية المشهورة ، والله أعلم.

من أنواع الغرر

أ- بيع الحصاة:

وفيه حديث أبي هريرة وهو حديثنا هذا، ومعنى بيع الحصاة كما قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث؛ قال: فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها: أن يقول: بعتك من هذه الأثواب ما وقعت عليه الحصاة التي أرميها، أو: بعتك من هذه الأرض من هنا إلى ما انتهت إليه هذه الحصاة. أي ويرمي الحصاة فتقع في مكان معين فيكون مكان وقوعها حدًا لما يبيعه من الأرض .

والثاني: أن يقول: بعتك على أنك بالخيار إلى أن أرمي بهذه الحصاة . أي أنت بالخيار في قبول البيع أو رده إلى أن أرمي بهذه الحصاة فيكون رميها نهاية للخيار وملزمًا بالبيع .

والثالث : أن يجعلا نفس الرمي بالحصاة بيعًا فيقول: إذا رميت هذا الثوب بالحصاة فهو مبيع منك بكذا.

ب- بيع الملامسة:

وفيه حديث أبي سعيد : ونهى رسول الله ﷺ عن الملامسة . قال : والملامسة لمسُ الثوب لا ينظر إليه ، وهو في الصحيحين جزء من حديث البخاري (٢١٤٤)، ومسلم حديث (١٥١٢). وفيه أيضًا حديث أبي هريرة في الصحيحين أيضًا برقم (٢١٤٦) البخاري ، وبرقم (١٥١١) في مسلم . والمقصود بالملامسة أن يلمس المشتري الثوب ونحوه ولا يقلبه ليعرف كنهه ، بل يجعل اللمس باليد قائمًا مقام النظر والرؤية . قال النووي : ولأصحابنا في تفسيره ثلاثة أوجه : أحدها : تأويل الشافعي رحمه الله وهو أن يأتي بثوب مطوي أو في ظلمة فيلمسه المستام فيقول صاحبه : بعتكه ؛ هو بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته .

والثاني أن يجعلا نفس اللمس بيعًا ، فيقول إذا لمسته فهو مبيع لك . والثالث : أن يبيعه شيئًا على أنه متى لمسه انقطع خيار المجلس وغيره . وهذا البيع باطل على التأويلات كلها .

جـ- بيع المنابذة:

وفيه حديث أبي هريرة برقمه السابق في الصحيحين وكذا حديث أبي سعيد بالرقم نفسه في الصحيحين . ونص فيهما : نهى رسول الله ﷺ عن الملامسة والمنابذة .

وقد مضى تفسير الملامسة ، وأما المنابذة فقال النووي : وفي المنابذة ثلاثة أوجه أيضًا : أحدها أن يجعلا نفس النبذ بيعًا وهو تأويل الشافعي ، والثاني : أن يقول بعتك فإذا نبذته إليك انقطع الخيار ولزم البيع ، والثالث : المراد نبذ الحصاة ، كما مر في تفسير بيع الحصاة .

د- بيع حبل الحبلة :

وفيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع حَبَلِ الحبَلَةِ، وكان بيعًا يتبايعه أهل الجاهلية ؛ كان الرجل يبتاع الجزور إلى أن تُنْتَجَ الناقة ثم تُنْتَجُ التي في بطنها .

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيح ، والحَبَل أي الحَمْلُ ، والحبلة جمع حابِل مثل ظالم وظلمة وفاجر ، وفَجَرَة ، وكاتب وكتَبَة ، واختلف العلماء في المراد بالنهي عن بيع حبَل الحبَلَة ، فقال جماعة : هو البيع بثمن مؤجل إلى أن تلد الناقة ويلد ولدها . قال النووي : وقد ذكر مسلم - وكذا البخاري - في هذا الحديث هذا التفسير عن ابن عمر ، وبه قال مالك والشافعي ومن تابعهما ، وقال آخرون : هو بيع ولد الناقة الحامل في الحال ، أي بيع الجنين في بطن أمه ، وهذا تفسير أبي عبيدة معمر بن المثنى وصاحبه أبي عبيدة القاسم بن سلام وآخرين من أهل اللغة ، وبه قال أحمد وإسحاق بن راهويه ، وهو أقرب إلى اللغة (أي بيع الجنين في بطن أمه)، لكن الراوي وهو ابن عمر قد فسره بالتفسير الأول ، وهو أعرف . ومذهب الشافعي ومحققي الأصوليين أن تفسير الراوي متقدم إذا لم يخالف الظاهر . وهذا البيع باطل على التفسيرين ، أما الأول فلأنه بيع بثمن إلى أجل مجهول ، والأجل يأخذ قسطًا من الثمن ، وأما الثاني فلأنه بيع معدوم ومجهول وغير مملوك للبائع وغير مقدور على تسليمه ، والله أعلم .

هـ- بيع المجهولات والمعدومات وغير المقدور على تسليمها :

وذلك كبيع السمك في الماء ، إذا كان الماء كثيرًا غير شفاف لا يرى مقدار السمك الذي فيه ، أو أن يكون المشتري غير قادر على اصطياد هذا السمك والحصول عليه .

وكذلك بيع الطير في الهواء ، وبيع العبد الآبق أو الحيوان الشارد الذي لا يقدر على تسليمه ، وكذلك بيع جزء من كومة طعام دون تعيين أو كيل أو وزن ، ومنه بيع ثوب من ثياب دون تحديد ما يريد شراءه أو بيعه ، وبيع حيوان من قطيع دون تعيين ما يباع ، فكل هذا مما فيه جهالة وغرر لا يجوز بيعه ، والله أعلم .

٤- البيع على بيع أخيه :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «لا يبيع بعضكم على بيع أخيه» . أخرجه البخاري في الصحيح بأرقام (٢١٣٩، ٢١٦٥، ٥١٤٢)، وأخرجه مسلم برقمي (١٤١٢، ١٥١٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لبادٍ، ولا تناجشوا ، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها».

وهذا الحديث أخرجه البخاري بأرقام (٢١٤٠، ٢١٤٨، ٢١٥٠، ٢١٥١، ٢١٦٠، ٢١٦٢، ٢٧٢٣، ٢٧٢٧، ٥١٤٤، ٢١٥٢، ٦٦٠١). كما أخرجه مسلم بأرقام (١٤١٣، ١٥١٥، ١٥٢٠).

شرح الحديث

بوب الإمام البخاري لهذين الحديثين : باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن أو يترك .

وقال الحافظ في الفتح : أشار بالتقييد (حتى يأذن أو يترك) إلى ما ورد في بعض طرقه، وهو ما أخرجه مسلم من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع في هذا الحديث بلفظ : «لا يبع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه ، إلا أن يأذن له». وقوله : «إلا أن يأذن له»: يحتمل أن يكون استثناءً من الحكمين كما هو قاعدة الشافعي، ويحتمل أن يختص بالأخير . ويؤيد الثاني رواية المصنف في النكاح من طريق ابن جريج عن نافع بلفظ : «نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب»، ومن ثم نشأ خلاف بين الشافعية : هل يختص ذلك بالنكاح أو يلتحق به البيع في ذلك ؟ والصحيح عدم الفرق . وقد أخرجه النسائي من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر بلفظ : «لا يبيع الرجل على بيع أخيه حتى يبتاع أو يذر».

قال الحافظ : وترجم البخاري أيضًا بالسوم ، ولم يقع له ذكر في حديثي الباب ، وكأنه أشار بذلك إلى ما وقع في بعض طرقه أيضًا ، وهو ما أخرجه في الشروط من حديث أبي هريرة بلفظ : «وأن يستام

الرجل على سوم أخيه» . وأخرجه مسلم في حديث نافع عن ابن عمر أيضًا.

وذكر «المسلم» لأنه أقرب إلى امتثال الأمر من غيره ، وفي ذكره إيذان بأنه لا يليق به أن يستأثر على مسلم مثله.

وقوله : «ألا يبيع» قال الحافظ : كذا للأكثر بإثبات الياء على أن «لا» نافية ، ويحتمل أن تكون ناهية وأشبعت الكسرة فتولدت الياء كقراءة من قرأ : «إنه من يتقي ويصبر» ويؤيده رواية الكشميهني بلفظ : «لا يبع» بصيغة النهي .

وقوله : «بعضكم على بيع أخيه» . كذا أخرجه عن إسماعيل عن مالك . وظاهر التقييد بالأخ أن يختص ذلك بالمسلم ، وبه قال الأوزاعي وأبو عبيد بن حربويه من الشافعية ،وأصرح من ذلك رواية مسلم من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ : «لا يسوم المسلم على سوم المسلم» . وقال الجمهور : لا فرق في ذلك بين المسلم والذمي . وذكر الأخ خرج للغالب ، فلا مفهوم له.

قال الحافظ : قال العلماء : البيع على البيع حرام ، وكذلك الشراء على الشراء ، وهو أن يقول لمن اشترى سلعة (في زمن الخيار)، أن يقول له: افسخ البيع لأبيعك بأنقص من ذلك . أو يقول لمن باع سلعة : افسخ لأشتري منك بأزيد . وهذا مجمع على تحريمه . أقول : وكثيرًا ما يحدث مثل ذلك في زماننا بل يحدث ذلك بعد إتمام البيع فيؤدي ذلك إلى إفساد العلاقات بين المسلمين ، فتجد التاجر أو غيره يرى في يد الرجل سلعة قد اشتراها فيسأله : بكم اشتريت هذه السلعة ؟ فإذا أخبره بثمنها قال له : عندي أرخص من ذلك ، لو رددتها إلى البائع لبعتك إياها بأنقص من ذلك ، وذلك بعدما تم البيع وانصرف المشتري من محل البائع وقد تمت الصفقة، وكثيرًا ما يثير هذا من المشاجرات والخلافات ما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه .

قال : وأما السوم فصورته أن يأخذ شيئًا ليشتريه فيقول له: رده لأبيعك خيرًا منه بثمنه أو مثله بأرخص ، أو يقول للمالك : استرِدَّهُ لأشتريه منك بأكثر ، ومحله بعد استقرار الثمن وركون أحدهما للآخر فإن كان ذلك صريحًا فلا خلاف في التحريم ، وإن كان ظاهرًا - أي مظنونًا - ففيه وجهان للشافعية . ونقل ابن حزم الركون عن مالك ، وقال : إن لفظ الحديث لا يدل عليه ، وتُعقب بأنه لا بد من أمر مبين لموضع التحريم في السوم، لأن السوم في السلعة التي تباع فيمن يزيد (أي في المزاد) لا يحرم اتفاقًا كما نقله ابن عبد البر . فتعين أن السوم المحرم هو ما وقع فيه قدر زائد على ذلك .

هذا وقد استثنى بعض الشافعية من تحريم السوم والبيع على الآخر ما إذا لم يكن المشتري مغبونًا غبنًا فاحشًا، وبه قال ابن حزم ، واحتج بحديث : «الدين النصيحة» ، لكن لم تنحصر النصيحة في البيع والسوم، فله أن يعرفه أن قيمتها كذا ، وأنك إن بعتها مغبون من غير أن يزيد فيها ، فيجمع بذلك بين المصلحتين . وذهب الجمهور إلى صحة البيع المذكور مع تأثيم فاعله ، وعند المالكية والحنابلة في فساده روايتان ، وبه جزم أهل الظاهر، والله أعلم .

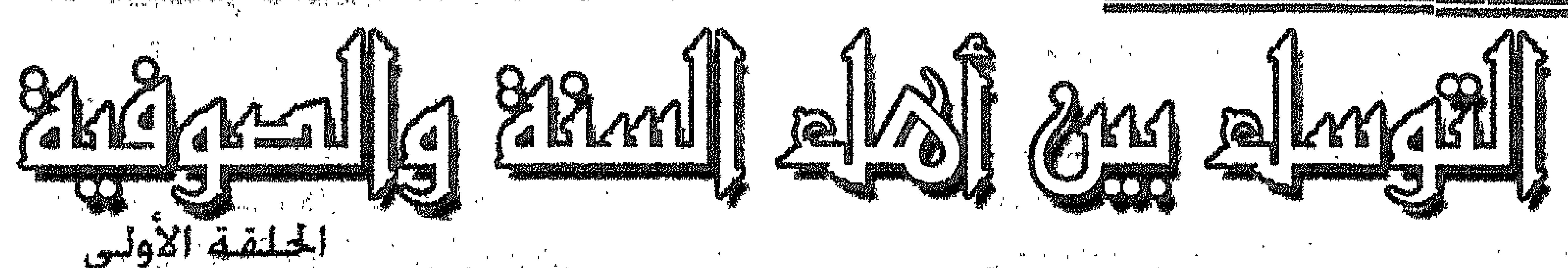
وبعد : فإن كثيرًا من الناس - إلا من رحم الله - لا يبالون في تجارتهم وبيعهم وشرائهم بحلال أو حرام ، فلا يسأل عما نهى عنه النبي ﷺ ولا عما أباحه ، غير عابئ بما أحل الله وما حرم ، والواجب على من يعمل في تجارة أن يعرف حكم الله سبحانه وتعالى وحكم رسوله ﷺ قبل أن يتعامل في تجارته ، ولقد روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمنع من لا يعرف أحكام المعاملات من دخول سوق المدينة .

ولقد حذر النبي ﷺ أمته ألا يبالي المرء من حيث كسب المال ، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام» . وأخرجه الإمام أحمد في المسند وكذا النسائي.

قال الحافظ : قال ابن التين : أخبر النبي ﷺ بهذا تحذيرًا من فتنة المال ، وهو من دلائل نبوته ﷺ لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وجميع المسلمين الحلال الطيب ويبارك لنا فيه ، وأن يجنبنا الحرام ويباعد بيننا وبينه كما باعد بين المشرق والمغرب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الأولى

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فلما كان توحيد الله عز وجل هو أصل كل حسنة، وأساس قبول كل عمل، ومصدر كل خير وبركة على العبد في الدنيا والآخرة؛ كان تصحيح المفاهيم المتعلقة بقضايا العقيدة من أجلّ القربات وأعظم الطاعات.

وإن مما وقع فيه الاشتباه والإجمال من الألفاظ لفظ «التوسل» فإن هذا اللفظ يطلق شرعاً علي التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الإيمان به وتوحيده وتصديق رسله، وعلى التوسّل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وعلى التوسل إليه بما عمله المتوسل من الأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها، وعلى التوسل إلى الله بدعاء المتوسَّل به للمتوسِّل و شفاعته، هذا ما يعنيه لفظ التوسل شرعا.

وأما في عرف من خفي عليهم ذلك من المتأخرين خاصة الصوفية منهم، صار لفظ التوسل يطلق على غير ذلك من المعاني المخالفة للشريعة مثل التوسل بدعاء المقبورين وبذوات المخلوقين أو سؤال الله بجاه فلان أو حرمته أو الإقسام على الله به، وبذلك صار المفهوم السيئ للتوسل مَعْبَراً لصنوف عديدة من الشركيات والخرافات والبدع، حتى صرفت العبادة لغير الله، وأحدث في الدين ما ليس منه، مما كان له الأثر السيئ في إفساد عقائد الناس وتشويه معالم الإسلام تحت مسمى التوسل كما زعموا، لذلك كان لزامًا علينا أن نصحح المفاهيم ونبصر المسلمين بحقيقة التوسل ومعناه وما هو المشروع منه والممنوع حتى يكون المسلم على بصيرة في عقيدته وعبادته لمولاه وخالقه.

حقيقة التوسل

هو التقرب إلى الله تعالي بطاعته وعبادته، واتباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الوسيلة هي القربة وقال قتادة في تفسير القربة: أي تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه. وهكذا .... فإن كل ما أمر به الشرع من الواجبات والمستحبات، فهو توسل شرعي ووسيلة شرعية، وكل ما نهى عنه الشرع من الشرك والبدع والمعاصي فهو وسيلة محرمة.

قال تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة ٣٥].

وقال جلَّ وعلا: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَٰئِكَ

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (الإسراء: ٥٦، ٥٧). يتضح مما تقدم أن التوسل لا يخرج عن معنى التقرب أو ما يؤول إليه من القربى إلى الله تعالى بما يحبه ويرضاه من الأعمال الصالحة. لذلك فإن الوسيلة بمعنى القربة ليس مقصوداً بها فقط التوسل في الدعاء، بل هي أشمل وأعم من ذلك، فهي تشمل كل أنواع القربات من الواجبات والمستحبات التي هي في ذاتها وسائل يتقرب بها العبد إلى الله كالصلاة والصيام والزكاة والحج. إلى آخره.

تنبيه

من الغريب أن بعض مدعي العلم خاصة الصوفية منهم اعتادوا الاستدلال بالآيتين السابقتين على ما يلهج به كثير منهم من التوسل بذوات الأنبياء أو حقهم أو حرمتهم أو جاههم وهو استدلال خاطئ لا يصح حمل الآيتين عليه ؛ لأنه لم يثبت شرعاً أن هذا التوسل مرغوب فيه، ولذلك لم يذكر هذا الاستدلال أحد من السلف الصالح، ولا استحبوا التوسل المذكور، بل الذي فهموه أن الله تبارك وتعالى - يأمرنا بالتقرب إليه بكل قربة، والتوصل إلى رضاه بكل سبيل.

ولكن الله - سبحانه وتعالى - قد علمنا في نصوص أخرى كثيرة أن علينا إذا أردنا التقرب إليه، أن نتقدم إليه بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها، وهو لم يكل تلك الأعمال إلينا، ولم يترك

تحديدها إلى عقولنا وأذواقنا، لأنها حينئذاك ستختلف وتتباين وستضطرب، بل أمرنا - سبحانه وتعالى - أن نرجع إليه في ذلك، ونتبع إرشاده وتعليمه لأنه لا يعلم ما يرضي الله - عز وجل - إلا الله وحده، فلهذا كان من الواجب علينا حتى نعرف الوسائل المقربة إلى الله أن نرجع في كل مسألة إلى ما شرعه الله - سبحانه - وبينه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا هو الذي وصانا به رسولنا محمد - صلوات الله عليه وسلامه، حيث قال «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ؛ كتاب الله وسنة رسوله» (صحيح الجامع ٢٩٣٤).

وهذا أوان الشروع في بيان التوسل المشروع:

أولاً: التوسل إلى الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

إن أعظمَ أنواع التوسلِ وأقربَه إجابةً التوسلُ إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فعلى المسلم أن يقدم بين يدي دعائه لربه تمجيدًا له وتعظيما وحمدًا وتقديسا في ذاته وأسمائه وصفاته ليكون ذلك وسيلة إلى الله سبحانه لأن يتقبل من العبد دعاءه.

الدليل من القرآن الكريم

١- قال تعالي ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف ١٨٠).

أي ادعوا الله عز وجل متوسلين إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة فيدعو المسلم ربه في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب؛ فيقول مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم،وتب عليّ يا تواب، وارزقني يا رزاق ،والطف بي يا لطيف ونحو ذلك.

٢- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٨- ٤١].

هذا نموذج من توسلات الخليل أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقد قدم بين يدي دعائه توسلا إلى الله تعالى بعلمه سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه سبحانه المحمود في ذاته وأفعاله وصفاته، وأنه الوهاب لكل نعمة، فقد وهبه الله بكرمه ومنه إسماعيل وإسحاق مع كبر سنه، كما أنه تعالى سميع لدعاء خلقه أينما كانوا وعلى اختلاف ألسنتهم وحاجاتهم، وهكذا فليكن الدعاء والاقتداء.

الأدلة من السنة النبوية

١- قال رسول الله ﷺ: «من كثر همه فليقل: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله فرحا»

(رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة).

٢- عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أنه قال لرسول الله ﷺ (علمني دعاءً أدعو به في صلاتي. قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم». (أخرجه أحمد والبخاري ومسلم).

ففي الحديث التوسل باسمين جليلين عظيمين مناسبين للمطلوب وهما الغفور والرحيم.

٣- عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال، سمع النبي ﷺ رجلا يقول:اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: قد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب.

(رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني).

فقد توسل هذا الرجل بأسماء الله الحسنى وباسمه الأعظم فكان سببا في قبول الدعاء بشهادة رسول الله ﷺ، وأنعم بها وأكرم من شهادة.

ثانيا: التوسل إلى الله عز وجل بالإيمان به والعمل الصالح

وذلك بأن يقول الداعي اللهم بإيماني بك وبرسولك أسألك أن تغفر لي ذنوبي أو يقول: اللهم إني أتوسل إليك بصلاتي وزكاتي وصيامي وحجي أن تفرج كربي وتغفر ذنبي.

الأدلة من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٦)، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران:٥٣)، وقال تعالي: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣].

فهؤلاء توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم ويقيهُم عذاب النار.

الأدلة من السنة النبوية:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان

قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار، فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة، إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ,كنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب شجر يوماً فلم أرُحْ عليهما حتى ناما. فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فلبثت والقدح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر- زاد بعض الرواة- «والصبية يتضاغون عند قدمي» فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منها» قال النبي ﷺ : «قال الآخر: اللهم كان لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني وأعطيتها عشرين ومئة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلتْ حتى إذا قدرت عليها ,قالت: لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها. فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

قال النبي ﷺ : «وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرتهم غير رجل واحد ترك الذي له، وذهب فَثَمَّرْتُ أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين ,فقال لي: يا عبد الله أدِّ لي أجري. فقلت: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق! فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي! فقلت إني لا استهزئ بك. فأخذه كله فساقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» (رواه البخاري ومسلم والنسائي).

وهذا الحديث من أعظم الأدلة وأوضحها على التوسل إلى الله عز وجل بتقديم العمل الصالح بين يدي الدعاء، فقد توسل الأول إلى الله عز وجل ببره لوالديه وتفضيلهما على أهله وأولاده ونفسه، وتوسل الثاني إلى الله عز وجل بعفته عن الحرام وعن الوقوع في الفحشاء مخافة الله سبحانه وتعالى، وتوسل الثالث بأمانته واستقامته وبمعاملة أجيره كما يعامل نفسه، وكلٌ فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى، لا خوفا من العباد ولا طمعا بإطراء منهم أو مديح أو جزاء، ولا شك أن هذه الأعمال المباركة كانت سببا لنجاتهم من كربهم العظيم.

ثالثا: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين

من ذلك:

١- استسقاء الصحابة رضي الله عنهم بدعاء النبي ﷺ في حال حياته:

فعن أنس رضي الله عنه: «أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال: يا رسول الله: هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا. اللهم أغثنا .اللهم أغثنا». قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين «سلع» من بيت ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر«فاقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»
(رواه البخاري ومسلم)

٢- استسقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدعاء العباس رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ :

ظهر من الحديث السابق كيف أن الصحابة كانوا يتوسلون بدعاء الرسول ﷺ حال حياته، ولما قبض الله نبيه كان الصحابة يتوسلون ويستسقون بغيره من الأحياء الذين تكون فيهم مظنة التقى والورع ولهذا استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته بالعباس رضي الله عنه.

فعن أنس رضي الله عنه قال: [إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا، استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ، فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا). قال: فيسقون]. (رواه البخاري في صحيحه).

ومعنى قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك، بنبينا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، أننا كنا نقصد نبينا - ﷺ - ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن قد انتقل- صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس، ونطلب منه أن يدعو لنا، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم اللهم بجاه نبيك اسقنا، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته - صلى الله عليه وعلى آله وسلم بجاه العباس اسقنا، لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم

(التوسل انواعه وأحكامه للألباني).

٣- توسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ والرد على المخالفين:

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه (أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني فقال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير» قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلي ربي في حاجتي لتقضى. اللهم شفعه في». فعاد وقد أبصر.

وفي رواية قال ابن حنيف: (فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضر) رواه النسائي والبيهقي وصححه الألباني.

وقد روى الترمذي والحاكم في مستدركه زيادة جملة في آخر الحديث وهي (وشفعني فيه).

وليس في الحديث مستمسك لمن يحتج به على جواز التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين بل هو حجة عليهم.

قال الشيخ نسيب الرفاعي في كتابه «التوصل إلى حقيقة التوسل»: إذا أمعنا النظر في هذا الحديث، تبين لنا أن الأعمى ما كان يقصد التوسل بذات أو جاه الرسول ﷺ ، بل بدعائه المستجاب، ولولا أمل الأعمى بالشفاء بدعاء رسول الله ﷺ ، لم يأته وذلك للأدلة المستخلصة من نص الحديث نفسه:

١- إن قول الأعمى لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يعافيني. فيه بيان واضح جلي بقصد الأعمى من المجيء وهو أنه ما جاء إلا من أجل أن يدعو له رسول الله ﷺ بالشفاء من ضره.

٢- وإن قوله ﷺ مجيبًا للأعمى: «إن شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرتَ وهو خير» لدليل آخر على أن الأعمى ما جاء إلا من أجل الدعاء وفيه تخيير من رسول الله ﷺ له بالدعاء أو الصبر حتى إذا شاء الأعمى الدعاء دعا له .... وفي تخييره هذا وعد بالدعاء إن شاءه.

٣- وإن إصرار الأعمى على طلب الدعاء منه ﷺ بقوله

(فادعه) لدليل ثالث على أن مجيئه لم يكن إلا من أجل الدعاء، ومن إصراره يفهم أن النبي ﷺ قد دعا له؛ لأنه وعده بذلك إذا شاء الدعاء. وقد شاء بقوله: «فادعه» على أن رسول الله ﷺ أحب أن يكون للأعمي كذلك مشاركة في الدعاء، ولكنه لم يترك الأعمى أن يدعو ربه بما شاء بل علمه دعاءً خاصاً وأمره أن يدعو الله به بالإضافة إلى دعائه ﷺ .

٤- إن قول الأعمى في آخر الدعاء الذي علمه إياه رسول الله رسول الله «اللهم شفعه فيَّ» لدليل رابع على الدعاء، أي اقبل شفاعته فيَّ، أي دعاءه فيَّ، والشفاعة من رسول الله ﷺ لا تكون إلا بدعاء الشافع للمشفوع له فدعاء الأعمى أن يقبل الله شفاعة رسوله فيه يدل على أن رسول الله ﷺ قد دعا له فعلاً والأعمى يطلب من الله قبول دعاء رسول الله ﷺ .

٥- وإن رواية الترمذي في سننه، ورواية الحاكم في مستدركه، زيادة جملة «وشفعني فيه» لدليل خامس على وقوع الدعاء من رسول الله للأعمى ليعافيه الله تعالي ويرد إليه بصره ومعني «وشفعني فيه» أي اقبل دعائي في أن تكون دعوته لي مستجابة.

٦- وإن هناك دليلا سادسا مستنبطا من واقع هذا الأعمى إذ لو كان قصده التوسل بشخص الرسول ﷺ أو بحقه أو بجاهه وما إلى ذلك لكان يكفيه أن يبقي في بيته، ويدعو الله قائلا مثلا: اللهم رد بصري بجاه نبيك، فكان يكفيه هذا دون أن يحضر ويتجشم عناء المشي وليس له من قائد يقوده إلى رسول الله ﷺ ، ولما كان هذا ليس من مراده، إنما يريد الدعاء منه فإن هذا يستلزم حضوره، وإخبار الرسول بما حصل معه من العمى ثم سؤاله أن يدعو له ليعافيه الله، لاعتقاده أن دعاء الرسول مستجاب فيحصل من الدعاء على مراده من الشفاء.

وهكذا فقد حضر الأعمى إلى رسول الله وطلب منه الدعاء فدعا له فاستجاب الله الدعاء من رسوله فعاد الأعمى بصيرًا كأن لم يكن فيه من ضر.

وإن مجموع هذه الأدلة الستة على ثبوت دعاء رسول الله للأعمى ليظهر لنا أمرا هامًا يدور عليه مآل الحديث ويكشف معناه بشكل واضح وهو: أن معنى: «اللهم إني أسألك بنبيك» أي بدعاء نبيك وذلك مثل قول عمر «نتوسل إليك بنبيك» أي بدعائه ولا يفهم منه التوسل بذاته، ولا كان هذا مراد الأعمى من مجيئه إلى رسول الله. وإن معنى التوسل المتبادر إلى أذهان الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت كان محصورا فقط في طلب الدعاء من المتوسَّل به، وليس المعني المتعارف عليه عند البعض في الأزمنة المتأخرة أي التوسل بذات المتوسَّل به. فقد كان مثل هذا التوسل ينفر منه الصحابة رضوان الله عليهم لأنه ينافي حقيقة التوحيد، ولا سيما إن لفظ الحديث ومآله، ومفاهيم اللغة العربية وقواعدها كل ذلك يشهد للحديث أن معناه هو التوسل بدعاء النبي ﷺ ، وعلى هذا يتبين سقوط الاستدلال بجواز التوسل بذوات المخلوقين بهذا الحديث، ويثبت عدم شرعية هذا الاستدلال لأن هذا الحديث، لا يعطي المعني الذي يريدونه البته لما بيناه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والله من وراء القصد.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد: علي حشيش

١٣٤٥- عن يَعْلَى بن أُمَيَّةَ رضي الله عنه قال: قُلْتُ لعُمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ فقال: عَجِبْتُ مما عَجِبْتَ منه، فسألتُ رسولَ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ فقال: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم فاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ».

م(٦٨٦)، حم(١٧٤)، د(١١٩٩)، ت(٣٠٣٤)، هـ(١٠٦٥)، حب(٢٧٣٩).

١٣٤٦- عن عائشةَ رضي اللَّه عنها أَنَّها أَمَرَتْ أَنْ يُمَرَّ بِجَنَازَةِ سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاص في المَسجدِ فَتُصَلِّيَ عليهِ فأنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْها فَقَالت: مَا أَسْرَعَ مَا نَسِيَ النَّاسُ، مَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى سُهَيْلِ بْنِ البَيْضَاءِ إِلاَّ في المَسْجِدِ» م(٩٧٣)، ط(٥٣٨)، حم(٢٤٥٥٢)، (٢٤٥٥٣)، (٢٦٣٠٥)، د(٣١٨٩)، (٣١٩٠)، ت(١٠٣٣)، ن(١٩٦٦، ١٩٦٧)، جه (١٥١٨)، حب (٣٠٦٥، ٣٠٦٦).

١٣٤٧- عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِيَّ أَنْ أَسْتَغفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لَي». م (٩٧٦)، حم(٩٦٩٤)، د(٣٢٣٤)، ن(٢٠٣٣)، جه(١٥٧٢)، حب(٣١٦٩)، هق (٤/٧٦).

١٣٤٨- عَنْ بُرَيْدَةَ بْنُ الحُصَيب الأَسْلَمي رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوها، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لحُوم الأَضَاحي فَوْقَ ثَلاثٍ، فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ النَّبِيذِ إلاَّ في سِقَاءٍ، فاشْرُبوا في الأَسْقِيَةِ كُلِّهَا. وَلاَ تَشْرَبُوا مُسْكِرًا». م(٩٧٧)، حم(٢٣٠١٩)، (٢٣٠٤٦)، (٢٣٠٦٥)، (٢٣٠٦٧)، (٢٣٠٧٧)، (٢٣٠٧٨)، (٢٣٠٧٩)، (٢٣١٠٠)، د(٣٢٣٥)، ت(١٠٥٤)، (١٥١٠)، (١٨٦٩)، ن(٢٠٣١)، (٤٤٤١)، (٥٦٦٨)، (٥٦٦٩)، (٥٦٩٤)، جه (٣٤٠٥)، حب (٣١٦٨)، هق (٤/٧٦/٧٧).

١٣٤٩- عن جَابرِ بن سَمرَةَ رضي الله عنه قال: «أُتيَ النبيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ(١)، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ». [م (٩٧٨)، حم (٢٠٩٠٦)، د(٣١٨٥)، ن(١٩٦٣)، طب (٢/١٩٣٢)، هق (٤/١٩).

١٣٥٠- عَنْ جَابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سَمع النبيَّ ﷺ قال: «فِيمَا سَقَتِ الأَنهار والغَيْمُ العُشُورُ وَفِيمَا سُقِي بالسَّانِيَةِ نِصْفُ العُشْرِ». م(٩٨١)، حم (١٤٦٧٣)، (١٤٦٧٢، ١٤٨٠٩)، د(١٥٩٧)، ن(٢٤٨٨).

١٣٥١- عَنْ ثَوْبَانَ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينارٌ يُنفِقُهُ عَلَى عَيالِه، ودِينارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَتِهِ في سَبيلِ اللهِ، ودِينَارٌ يُنْفِقُهُ على أصْحَابِهِ في سَبيلِ اللهِ».

م(٩٩٤)، حم(٢٢٤٦٩، ٢٢٥١٦)، ت(١٩٦٦)، ن(٥/٩١٨- الكبرى)، جه (٢٧٦٠)، حب (٤٢٤٢)، هق (٤/١٧٨)، (٧/٤٦٧).

١٣٥٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «دِينارٌ أَنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللهِ، ودينارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبةٍ، ودِينارٌ تَصدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الذي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ». م(٩٩٥)، حم(١٠١٢٥).

١٣٥٣- عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «كَفَى بِالمرءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ». م(٩٩٦)، حب (٤٢٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٢٢، ٥/٢٣، ٨٧٧).

١٣٥٤- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليومَ صَائِمًا ؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنَا. قال: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ اليومَ جَنَازَةً؟» قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا. قال: «فَمَنْ أطْعَمَ مِنْكُمُ الْيومَ مِسكينًا ؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «فَمَن عَادَ اليَوْمَ مِنْكُمْ مَرِيضًا؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ».

[م(١٠٢٨)، ن(٥/٨١٠٧ - كبرى)].

١٣٥٥- عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ وأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌ لَكَ، وَلاَ تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى».

م(١٠٣٦)، حم(٢٢٣٢٨)، ت(٢٣٤٣).

١٣٥٦- عن عَبد اللَّهِ بن عَمْرو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ». م(١٠٥٤)، حم(٦٥٨٣)، ت(٢٣٤٨)، جه(٤١٣٨)، هق (١٩٦/٤)، حب (٦٧٠).

١٣٥٧- عَن عَمْرو بنِ العَاصِ رضي الله عنه أنَّ رسُول اللهِ ﷺ قال: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنا وصيامِ أَهْلِ الكِتاب أَكْلَةُ السَّحَرِ». م(١٠٩٦)، حم (١٧٨١٧)، د(٢٣٤٣)، ت(٧٠٩)، ن(٢١٦٥)، دي (١٦٩٧)، حب(٣٤٧٧)، ابن خزيمة (١٩٤٠).

١٣٥٨- عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: فرضَ اللهُ الصلاةَ على لِسانِ نبيكم ﷺ في الحَضَرِ أَرْبَعًا، وفي السَّفَرِ ركعتَيْنِ، وفي الخَوْفِ ركعةً. م(٦٨٧)، حم (٢١٢٤)، د(١٢٤٧)، هـ(١٠٦٨)، حب(٢٨٦٨).

١٣٥٩- عن يَحيى بن يَزيد الـهُنَائي قال: سَأَلْتُ أنسَ بن مالكٍ عن قَصْرِ الصَّلاةِ ؟ فقال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا خَرجَ مَسيرةَ ثلاثةِ أَمْيَالٍ أو ثلاثةِ فراسخَ صَلَّى ركعتينِ». م(٦٩١)، حم (١٢٣١٥)، د(١٢٠١)، حب(٢٧٤٥).

١٣٦٠- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا معَ رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فَمُطِرْنَا فقال: لِيُصَلِّ مَنْ شَاءَ منكم في رَحْلِه. [م(٦٩٨)، حم(١٥٢٨٠)، د(١٠٦٥)، ت(٤٠٩)، حب(٢٠٨٢).

١٣٦١- عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ الظُّهْرَ والعَصْرَ جَمِيعًا والمَغْرِبَ والعِشَاءَ جميعًا في غيرِ خوفٍ ولا سَفَرٍ. م(٧٠٥)، حم(١٩٥٣)، د(١٢١٠)، ت(١٨٧)، حب (١٥٩٦).

١٣٦٢- عن مُعَاذٍ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبوك فَكَانَ يُصَلِّي الظهْرَ والعَصْرَ جميعًا والمغربَ والعِشَاءَ جَميعًا. م(٧٠٦)، حم(٢٢٣١)، د(١٢٠٦)، هـ(١٠٧٠)، حب(١٥٩١).

١٣٦٣- عن البَرَاءِ رضي الله عنه قال: كُنَّا إذا صَلَّيْنَا خَلْفَ رسولِ اللهِ ﷺ، أَحبَبْنَا أَنْ نكُونَ عَنْ يمينهِ. يُقْبِلُ علينا بِوَجْهِهِ. قال: فسمعتهُ يقولُ: «رَبِّ قِنِي عذابك يومَ تَبْعَثُ أو تَجْمَعُ عبادَك».

م(٧٠٩)، حم(١٨٧٣٦)، د(٦١٥)، نس (٨٢١)، هـ(١٠٠٦).

١٣٦٤- عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أُقِيمتِ الصَّلاةُ فَلاَ صَلاةَ إلاَّ المكتوبةُ».

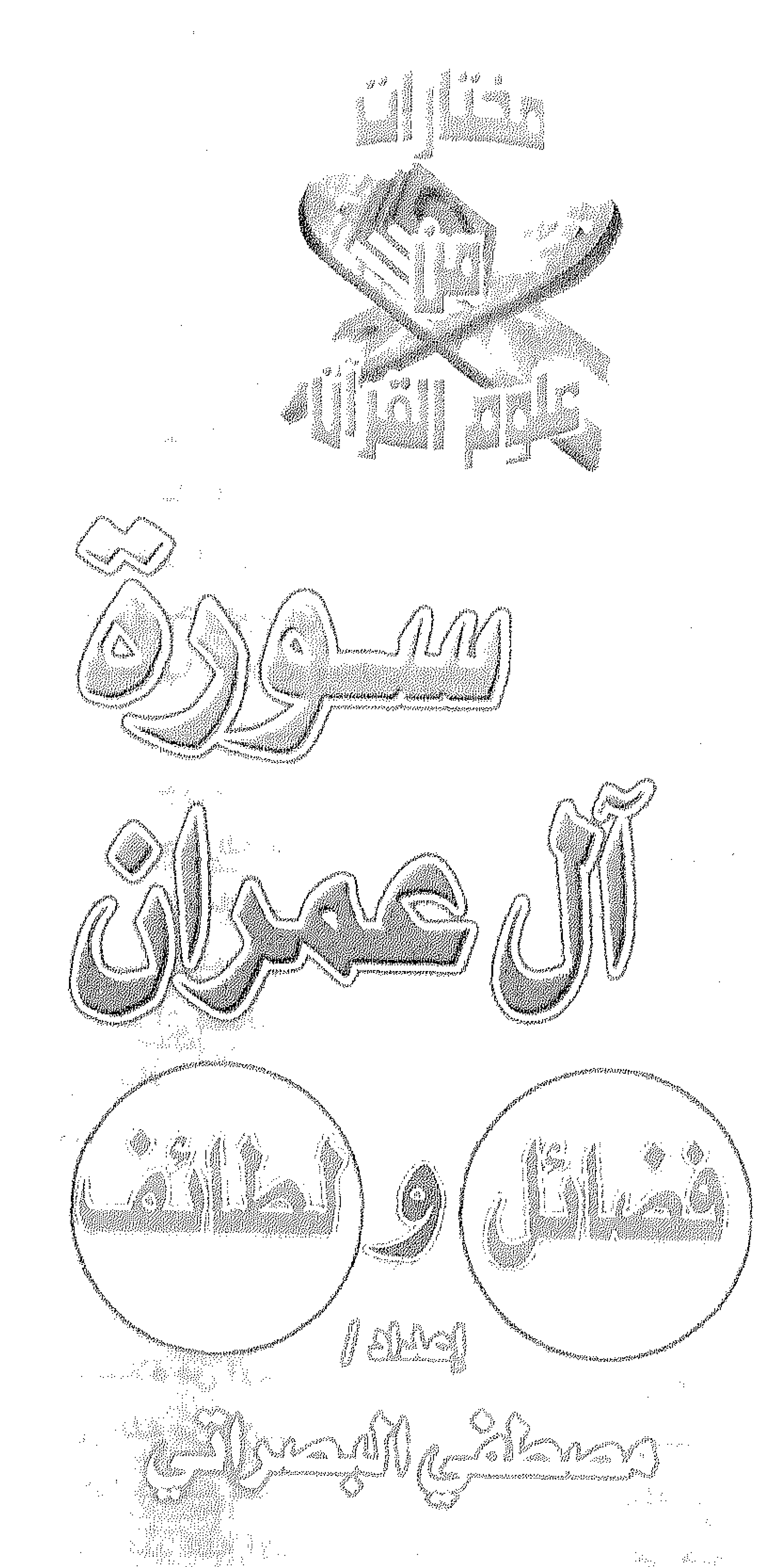
م(٧١٠)، حم (٨٦٣١)، د(١٢٦٦)، ت(٤٢١)، هـ(١١٥١)، حب(٢١٩٣).

١٣٦٥- عن عبد الله بن سَرْجِسَ قال: دَخَلَ رَجُلٌ المسجدَ ورسولُ اللهِ ﷺ في صَلاةِ الغَداةِ، فَصَلَّى ركعتين في جانبِ المسجدِ، ثُمَّ دَخَلَ مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا سَلَّمَ رسول الله ﷺ قال: «يا فُلانُ، بأيِّ الصَّلاتين اعْتَدَدْتَ ؟ أبصلاتك وَحْدَك، أَمْ بصلاَتِك مَعَنا؟».

م(٧١٢)، حم(٢٠٨٠٣)، د(١٢٦٥)، نس (٨٦٧)، هـ(١١٥٢)، حب (٢١٩١).

هامش

١- المشاقص: سهام عراض واحدها مشقص.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنكمل حديثنا حول لطائف سورة آل عمران، ونتحدث بعون الله سبحانه عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

قال صديق خان في فتح البيان: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [١/٤٥٥]: «جملة متسانفة وآية مستقلة على قراءة كسر «إن» وأما على قراءة فتحها (أن) فهو من بقية الآية السابقة ﴿ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾.

فعلى هذه القراءة (فتح «أن») أي الهمزة من «أن» تكون عطف بيان لقوله: ﴿ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾

[آل عمران: ١٨]

يعني: وشهد أنه لا إله إلا هو وأن الدين عند الله الإسلام.

والإسلام: يعني الدين المرضي هو الإسلام المبني على التوحيد كما قال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

قال الزجاج: الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه، والإسلام هو الدخول في السلم، وهو الانقياد في الطاعة.

قال قتادة: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء به الرسول من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه لا يقبل غيره، وعن الضحاك قال: لم يبعث الله رسولاً إلا بالإسلام. وقال العلامة نظام الدين النيسابوري: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة، سميت ديناً لأنها سبب الجزاء. والإسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم أو في السلامة أو إخلاص العبادة من قولهم: «سلم له الشيء» أي: خلص له.

والإسلام: في عرف الشرع يطلق تارة على الإقرار باللسان في الظاهر، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٧].

ويطلق أخرى على الانقياد الكلي وهو المراد ههنا.

وقال ابن القيم في البدائع: وقد دل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ على أنه دين أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط، ولا يكون له دين سواه.

قال أول الرسل نوح عليه السلام: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢]. وقال إبراهيم

وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقال يعقوب عليه السلام لبنيه عند الموت: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال موسى عليه السلام لقومه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال الله تعالى عن نبيه عيسى - عليه السلام- والحواريين: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. وقالت ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

فالإسلام دين أهل السماوات ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، فأديان أهل الأرض الستة: واحد للرحمن، وخمسة للشيطان، فدين الرحمن هو الإسلام، والتي للشيطان: اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة ودين المشركين، فهذا بعض ما تضمنته هذه الآيات العظيمة من أسرار التوحيد والمعارف، فهذه بعض النقول المهمة في تعريف الإسلام.

أما عن تفسير الآية: «إن» فيها قراءتان: القراءة الأولى: فتح الهمزة، والثانية: كسر الهمزة، فعلى قراءة فتح الهمزة تكون عطف بيان لقوله: ﴿أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] يعني: شهد أنه لا إله إلا هو، وأن الدين عند الله الإسلام.

و«الدين»: يراد به العمل، كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون].

أي: لكم عملكم ولي عملي، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ويراد به الجزاء كما في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

والمراد به في هذه الآية العمل، يعني: إن الدين الذي هو عبادة الله والعمل له هو الإسلام.

و«الإسلام»: مصدر أسلم يسلم. والإسلام هو التعبد لله تعالى بما شرع، حال قيام الشريعة. وهذا الإسلام بالمعنى العام.

أما الإسلام بالمعنى الخاص - وهو المراد هنا - فهو التعبد لله بشرع محمد ﷺ، والدليل على هذا التقسيم ما أسلفنا ذكره من كلام ابن القيم.

تنبيه: وهنا ننبه أن كثيرًا من الكُتّاب اليوم إذا تكلموا عن اليهودية والنصرانية والإسلام يقولون: هذه الأديان السماوية. فيظن السامع أن دين اليهود قائم، وأن دين النصارى قائم، كقيام دين الإسلام، وهذا لا يصح، فإن هذه الأديان أديان سماوية بلا شك، لكنها حرّفت، وبُدّلت، وغُيِّرت، ونُسخت ببعثة محمد ﷺ، فليست دينًا يرتضيه الله اليوم، بل المتمسكون بها كفار، لا يعدون من المسلمين، وربما توهم بعض العامة أن اختلاف هذه الأديان كاختلاف المذاهب الإسلامية، يعني: كاختلاف مذهب الشافعي، ومالك، وأحمد وأبي حنيفة، وهذا خطأ عظيم، لأنه من زعم أن هناك دينًا قائمًا بعد بعثة الرسول ﷺ فهو كافر، فإن دينه نسخ جميع الأديان، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ المراد بالإسلام هنا الدين كله بجميع شرائعه الظاهرة والباطنة، فليس قسيم الإيمان المذكور في حديث جبريل عليه السلام، بل المراد به ما يعمُّ جميع شرائع الإسلام فالصلاة من الإسلام، والزكاة من الإسلام، والتوكل على الله من الإسلام، والخوف منه من الإسلام، وهكذا جميع شرائع الدين من الإسلام، وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ يعني: إن المرجع في كون هذا الشيء دينًا أو غير دين، هو الله عز وجل.

وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ يعني: إن الإسلام قد اتفقت عليه الأمة، ولم يختلف فيه، لكن الأمم السابقة جرى منهم الاختلاف، ومع ذلك لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم وعلموا الحق، لكنهم اختلفوا فيه بغيًا وعدوانًا، كل واحد منهم يبغي على الآخر، كل واحد منهم يقول: إن دينك باطل، فتفرقوا وتمزقوا، وهكذا كما وجد في الأمم السابقة وُجِدَ في هذه الأمة، نجد بعض المسلمين يخالف الآخرين ثم يجعل من هذا الخلاف خلاف قلب، فتتنافر القلوب

وتتشتت، فمن كان على ذلك ففيه شبه من اليهود والنصارى.

وقوله: ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: العلم بالشريعة، فبعد أن عرفوا الشريعة وفهموها تنازعوا فيها. وقوله: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ يعني: أن الحامل لهم على هذا الاختلاف هو البغي، حيث إن بعضهم يبغي على بعض، ولهذا جرى بين اليهود والنصارى من الحروب ما هو معلوم.

• وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾: ﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾ : الجملة هذه شرطية. فعل الشرط: يكفر، وجوابه جملة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ وارتبطت جملة الجواب بالفاء لأنها جملة اسمية.

والكفر بآيات الله يدور على أمرين: الجحد والتكذيب، والاستكبار والعناد، فالجحد والتكذيب: كما فعل المشركون مع النبي ﷺ، وكما فعل أعداء الرسل من قبل.

والاستكبار والعناد: بحيث يعلم الحق ثم يستكبر عنه ويعاند، كما هو كفر إبليس، وبين الكفرين تلازم، فإن المكذب مستكبر وإن لم يكذب بلسانه، فهو مكذب بعمله، لأنه لم ينقد لأمر الله.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ وهذه الجملة خبرية يقصد بها التهديد، أي: سيحاسبه، وهو سريع الحساب، عز وجل.

من فوائد الآية الكريمة:

١- أن الدين الذي يُعتد به، ويكون مقبولاً عند الله هو الإسلام، وكل دين يخالف الإسلام في أي زمان فليس بمقبول ولا مرضي عند الله.

والإسلام بعد بعثة الرسول ﷺ هو ما جاء به الرسول ﷺ، وعلى هذا فدين اليهودية والنصرانية دين باطل غير مقبول عند الله، وقد أخبر النبي ﷺ أنه «ما من يهودي ولا نصراني من هذه الأمة - يعني أمة الدعوة - يسمع به - يعني بالرسول ﷺ - ثم لا يتبع ما جاء به، إلا كان من أهل النار، أو من أصحاب النار». رواه مسلم.

فمن ادعى أن دين اليهودية أو النصرانية أو غيرهما من الأديان مقبول عند الله الآن فهو كافر، لأنه مكذب بالقرآن: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾.

٢- بيان ضلال أولئك القوم الذين تكلموا عن الديانات، قرنوا بين دين الإسلام واليهودية والنصرانية، وقالوا: هذه هي الأديان السماوية، حتى إن الجاهل ليظن أن اختلاف الأديان الثلاثة كاختلاف المذاهب الفقهية في الأمة الإسلامية، وهذا ضلال عظيم ومداهنة لليهود والنصارى، بل نقول: إن الأديان السماوية؛ اليهودية والنصرانية، كانت أديانًا مقبولة عند الله، أما الآن فقد نسخها الله عز وجل، وصار الدين السماوي المقبول الذي لا يمكن أن يشركه دين آخر، هو ما جاء به محمد ﷺ.

٣- أن اختلاف اليهود والنصارى كان عن علم، وبعد أن جاءهم العلم اختلفوا، ولهذا قال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾.

٤- أن اختلاف هؤلاء ليس لقصد الحق، بل لقصد البغي والعدوان، حتى يضلل بعضهم بعضًا، بل ويكفر بعضهم بعضًا.

٥- الإشارة إلى التحذير مما وقع فيه هؤلاء الكفار الذين أوتوا الكتاب. ووجه ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، والبغي معلوم أنه محذور منه، غير مرغوب فيه.

٦- الإشارة إلى أنه يجب على الإنسان إذا خالفه غيره، ألا يتطاول عليه، وألا يقصد بسوق الأدلة المؤيدة لقوله البغي على غيره، والتطاول عليه، بل يقصد إظهار الحق، لينتفع هو وينفع غيره، أما أن يأتي بالأدلة من أجل أن يعلو على أخيه، ويكون قوله هو الأعلى، فهذا خطأ عظيم.

٧- أنه لا بد أن يحاسب الإنسان على عمله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، والحكمة تقتضي ذلك، وإلا فما الفائدة أن تُخلق هذه الخليقة العظيمة، وتنزل عليها الكتب وترسل إليها الرسل، وتؤمر وتُنهى ثم في النهاية ينتهون إلى التراب بلا ثواب ولا عقاب.

٨- ينبغي للعاقل أن يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خاتم الأنبياء والمرسلين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

ذكرت في اللقاء الماضي بعض الأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على أن النبوة والرسالة ختمت بإمام الأنبياء والمرسلين ﷺ، وأواصل في هذا اللقاء الكلام حول هذا الموضوع لأهميته في الوقت الراهن، خاصة بعد تأييد الأفاكين لدعوة الكاذب الغلام القادياني في ادعائه النبوة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(١).

وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: «باب خاتم النبيين ﷺ »، كما ترجم مسلم له بقوله: «باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين»، وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين(٢).

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إني عبد الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات المؤمنين ترين»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاءُ فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا ؟ فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»(٤).

ويلاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ ذكر تعاقب الأنبياء في بني إسرائيل، وأمة النبي ﷺ أفضل من بني إسرائيل، فقد يتوهم إنسان أن النبوة مستمرة في دين النبي ﷺ لأنها ليست بأقل من بني إسرائيل فقطع ﷺ هذه الشبهة، ونبه تنبيهًا واضحًا أنه لا نبي بعده ﷺ ، وأنه سيكون في أمته خلفاء يخلفونه- عليه الصلام والسلام - في رعاية أمته ودينه، كما صرح ﷺ بأنه آخر الأنبياء، وأن مسجده آخر المساجد، وأن أمته آخر الأمم، وذلك فيما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وأبي عبد الله الأغر مولى الجهنيين (وكان من أصحاب أبي هريرة)، أنهما سمعا أبا هريرة رضي الله عنه يقول: صلاة في مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء، وإن مسجده آخر المساجد. قال أبو سلمة، وأبو عبد الله: لم نشك أن أبا هريرة كان يقول عن حديث رسول الله ﷺ ، فمنعنا ذلك أن نستثبت أبا هريرة عن ذلك الحديث، حتى إذا توفي أبو هريرة تذاكرنا ذلك وتلاومنا(٥) أن لا نكون كلمنا أبا هريرة في ذلك حتى يسنده إلى رسول الله ﷺ إن كان سمعه منه، فبينا

رحمة من رب العالمين

إعداد/
د. عبدالله شاكر
نائب الرئيس العام

نحن على ذلك جَالَسَنَا عبد الله بن إبراهيم بن قارظ، فذكرنا ذلك الحديث والذي فرَّطنا فيه من نص أبي هريرة عنه، فقال لنا عبد الله بن إبراهيم: أشهد أني سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «فإني آخر الأنبياء، وإن مسجدي آخر المساجد»(٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب. يقال: أين الأمة الأمية ونبيها ؟ فنحن الآخرون الأولون»(٧).

كما أخبر ﷺ في أحاديث كثيرة أنه لا يوجد فاصل بينه وبين الساعة، وهذا يفيد أنه ليس بعده نبي، ومن ذلك ما رواه البخاري وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «بعثت أنا والساعة كهاتين»(٨).

وفي بعض طرق الحديث عند مسلم أن شعبة - وهو أحد رواة الحديث - قرن بين أصبعيه المسبحة والوسطى، وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بُعثت أنا والساعة كهاتين، يعني أصبعين»(٩). وهذه الأحاديث أفادت التلاصق بين النبوة المحمدية وقيام الساعة، وأنه لا توجد نبوة أخرى تفصل بينهما.

قال ابن التين: «اختلف في معنى قوله: «كهاتين»، فقيل كما بين السبابة والوسطى في الطول، وقيل المعنى: ليس بينه وبينها نبي»(١٠).

وقال القرطبي: «معناه أنا النبي الأخير فلا يليني نبي آخر، وإنما تليني القيامة كما تلي السبابة الوسطى وليس بينهما أصبع أخرى، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها، وهي مع ذلك كائنة لأن أشراطها متتابعة، وقد ذكر الله الأشراط في القرآن فقال: ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]،

وأولها النبي ﷺ ، لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي »(١١).

وقد أخبر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أن دينه سيبقى قائمًا ظاهرًا عاليًا منصورًا إلى قيام الساعة، وأنه لن يظهر دين آخر ينافسه بحال، لأن سلسلة النبوة ختمت به ﷺ، وهذا ما تفيده الأحاديث الواردة في ذلك، ومنها حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»(١٢).

وفي رواية لمسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة»(١٣).

وهذه الرواية أفادت أن دين النبي ﷺ هو الدين القائم إلى يوم القيامة، وهذا يدل على أنه ليس بعده نبي ﷺ ، قال النووي - رحمه الله-: «وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف مازال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور»(١٣).

كما دلت أسماؤه- ﷺ - على أنه خاتم الأنبياء، ومن ذلك ما رواه محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر،

وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»(١٤).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمُقفّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»(١٥).

وقد جاء في هذين الحديثين ثلاثة أسماء كل واحد منها يدل على ختم النبوة والرسالة به ﷺ، وهذه الأسماء هي: الحاشر، والعاقب، والمقفي، وإليكم معنى كل اسم منها ودلالته على عقيدة ختم النبوة:

فالحاشر وضح النبي ﷺ معناه في حديثه، حيث قال: «وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»، وقد فسر ابن حجر معناه فقال: «أي على أثري، أي أنه يحشر قبل الناس، وهو موافق لقوله في الرواية الأخرى: «يحشر الناس على عقبي»، ويحتمل أن يكون المراد بالقدم الزمان، أي وقت قيامي على قدمي بظهور علامات الحشر، إشارة إلى أنه ليس بعده نبي ولا شريعة»(١٦).

وأما العاقب فقد فسر بأنه الذي ليس بعده نبي، قال ابن منظور: «والعاقب: الآخر. قال أبو عبيد: العاقب آخر الأنبياء، وفي المحكم آخر الرسل»(١٧).

وقال ابن القيم: «والعاقب: الذي جاء عقب الأنبياء، فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق، أي: عقب الأنبياء جاء عقبهم»(١٨).

وأما المقفي فمعناه أيضًا الآخر. قال ابن منظور: «قال شمر: المُقَفّي نحو العاقب، وهو المُولّي الذاهب. يقال: قفّى عليه أي ذهب به، وقد قفّى يُقفي فهو مُقفٍّ، فكأن المعنى أنه آخر الأنبياء المُتَّبع لهم، فإذا قفّى فلا نبي بعده»(١٩).

وقال ابن القيم: «وأما المقفي فكذلك، وهو الذي قفّى على آثار من تقدمه، فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل، وهذه اللفظة مشتقة من القفو، يقال: قفاه يقفوه: إذا تأخر عنه، ومنه قافية الرأس، وقافية البيت، فالمقفي: الذي قفى من قبله من الرسل، فكان خاتمهم وآخرهم»(٢٠).

وقد أجمعت الأمة كلها على أن النبوة ختمت بنبينا ﷺ وقام الصحابة - رضوان الله عليهم - في وجه المتنبئين وقاتلوهم، كما صرحوا في أقوالهم بختم النبوة بنبينا ﷺ، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عتبة قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم». وهذا إخبار عن عمر بما كان عليه الحال في عهد النبي ﷺ وبعده، وأن الوحي قد انقطع، فلا وحي ولا نبوة ولا رسالة بعده عليه الصلاة والسلام، ولذلك أطلق علماء الأمة القول بتكفير من ادعى النبوة.

يقول البغدادي - رحمه الله- وهو في معرض بيان الأصول التي أجمع عليها المسلمون: «وقالوا بتكفير كل متنبئ، سواء كان قبل الإسلام كزَرَادشت ويوراسف وماني ودمصان ومرقيون ومزدك، أو بعده كمسيلمة وسَجَاح والأسود بن يزيد العَنْسي وسائر من كان بعدهم من المتنبئين، ولا يجوز ظهور معجزة التصديق على المتنبي في دعوى النبوة، ويجوز أن يَظْهر عليه معجزة تدل على كذبه كنطق شجرة أو عضو من أعضائه بتكذيبه»(٢١).

كما ذكر القاضي عياض تكفير من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ، وذكر إجماع الأمة على ختم النبوة به ﷺ، فقال: «أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر الله تعالى أنه خاتم النبيين لأنه أرسل كافة للناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، ومفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص»(٢٢).

وقال الطحاوي - رحمه الله-: «وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى». قال شارحه: «لما ثبت أنه

خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب، ولا يقال: فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة، والبراهين الصادقة، كيف يقال بتكذيبه؟ لأنا نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال، لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مُدَّعٍ يدَّعي النبوة، ولا تظهر أمارة كذبه في دعواه»(٢٣).

وفي القرن الثالث عشر الهجري ظهر كذاب عظيم ومجرم أثيم في إيران يدعى الميرزا علي محمد الشيرازي بنحلة جديدة زعم فيها أنه الباب إلى المهدي المنتظر الغائب المزعوم، ثم ادعى بعد ذلك أنه المهدي المنتظر وأنه سيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا، ثم ادعى أخيرًا أنه نبي يوحى إليه وأنه نسخ الشريعة الإسلامية بكتابه الذي سماه «البيان»، وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري ادَّعى كذاب آخر أنه نبي يوحى إليه، وهو المدعو «غلام أحمد بن غلام مرتضى» المولود في قرية «قاديان» إحدى قرى الهند، وقد كان بليدًا غبيًا، إلى جانب سوء الخلق والبذاءة التي كانت تظهر في ألفاظه، وفي أول أمره أظهر أنه يدافع عن الإسلام، ثم ادعى أنه المهدي، وأنه آدم وعيسى، وإبراهيم، وظِلّ نبينا - عليه الصلاة والسلام - ثم أخيرًا ادعى النبوة والرسالة، وأن الله أرسله بالهدى ودين الحق وتهذيب الأخلاق، وعقيدته في الله تنبئ عن جهل واضح لديه وكفر بالله تبارك وتعالى، وقد ألغى فريضة الجهاد وتعاون مع أعداء الله المحتلين لبلده في ذاك الزمان، وكل هذه الدعوات زائفة وفاسدة باطلة، وعلى المسلمين أن يحذروها، ولا يستمعوا لمروجيها، لأن الوقوف ضد الباطل مطلوب، وبيان زيفه وانحرافه مقصود، وسيبوء كل هؤلاء الظالمين بالوبال والعذاب الأليم من مات منهم على ذلك ولم يتب من كفره هذا، وسيظل دين محمد بن عبد الله ﷺ ظاهرًا على مر العصور، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وللحديث صلة - بإذن الله -.

الهوامش

١- أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ١٨ جـ٦/٥٥٨، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ٧ جـ٤/, ١٧٩٠
٢- فتح الباري جـ٦/, ٥٥٩
٣- أخرجه أحمد في مسنده جـ٤/١٢٧، وصححه ابن حبان والحاكم كما ذكر ابن حجر في الفتح جـ٦/, ٥٥٩
٤- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٠ جـ٦/٤٩٥، ومسلم في كتاب الإمارة باب ١٠ جـ٣/١٤٧١، وأحمد في مسنده جـ٢/, ٢٩٧
٥- أي لام بعضنا بعضًا.
٦- صحيح مسلم، كتاب الحج باب ٩٤ جـ٢/١٠١٢، , ١٠١٣
٧- سنن ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن ابن ماجه جـ٢/, ٤٢٧
٨- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ٣٩ جـ١١/٣٤٧، ومسلم في كتاب الفتن، باب ٤٧، جـ٤/٢٢٦٨، كما أخرجه الترمذي في سننه جـ٦/٤٥٩، بشرح تحفة الأحوذي.
٩- البخاري في كتاب الرقاق باب ٣٩ جـ١١/, ٣٤٧
١٠- فتح الباري جـ١١/, ٣٤٩
١١- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص, ٧١١
١٢- أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ٢٨ جـ٦/٦٣٢، ومسلم في كتاب الإمارة باب ٥٣ جـ٣/, ١٥٢٤
١٣- شرح النووي على مسلم جـ١٣/, ٦٧
١٤- أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ١٧ جـ٦/٥٥٤، ومسلم في كتاب الفضائل باب ٣٤ جـ٤/١٨٢٨، وأحمد في مسنده جـ٤/٨٤ وغيرهم.
١٥- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ٣٤ جـ٤/١٨٢٨، , ١٨٢٩
١٦- فتح الباري جـ٦/, ٥٥٧
١٧- لسان العرب لابن منظور جـ١/, ٦١٤
١٨- زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ جـ١/, ٩٤
١٩- لسان العرب جـ١٥/, ١٩٤
٢٠- زاد المعاد جـ١/, ٩٤
٢١- الفرق بين الفرق ص٣٤٣، , ٣٤٤
٢٢- الشفاء للقاضي عياض جـ٢/٢٧٠ - , ٢٧١
٢٣- شرح العقيدة الطحاوية جـ١/, ١٦٧

دراسات شرعية
المنهج الإسلامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

ذكرنا في المقال السابق أن الله تعالى أمر بحسن العشرة بين الزوجين في كتابه الكريم، وكذا رسول الله ﷺ في أحاديثه الصحيحة، ورأينا أن حُسن العشرة جزء من المنهج الإسلامي في وقاية المجتمع من الفاحشة.

وقد أوردنا سبعة من حقوق الزوج على زوجته، ونستكمل باقي حقوق الزوج على زوجته:

٨- أن ترضى الزوجة باليسير، وألا تكلف زوجها من النفقة ما لا يطيق، فقد قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

وإذا أنفقت هي من مالها في البيت فلا تمنّ عليه، فإن ذلك يوغر القلب، ويؤدي إلى إبطال الأجر.

٩- أن تحسن القيام على تربية الأبناء، فلا تغضب عليهم أمامه ولا تدعو عليهم ولا تسبهم فإن ذلك يؤذيه، وأذاه حرام.

وكذلك تحسن معاملة والديه وأقاربه فإن ذلك يحببه فيها ويعاملها بالمثل.

١٠- أن تكتم الزوجة سر زوجها وسر بيتها، قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

وألا تتكلم في أسرار الفراش، فإن ذلك من سوء الأدب، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك كما بالحديث (وهو في مسند أحمد وصححه الألباني في آداب الزفاف): قال ﷺ: «لعل رجلاً يقول ما يفعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرمّ القوم، فقلتُ (أسماء بنت يزيد رضي الله عنها): إي والله يا رسول الله، إنهنّ ليفعلن وإنهم ليفعلون. فقال ﷺ: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك كمثل شيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون».

وما أجمل وأجمع النصيحة التي ساقتها المرأة العربية لابنتها عند زواجها قائلة لها: أي بنيّة: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك، لكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلقن ولهن خُلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجتِ، وخلّفت العُش الذي فيه درجتِ، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا، فكوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا، واحفظي له خصالاً عشرًا يكن لك ذخرًا:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحُسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في ذلك حُسن التقدير، وفي العيال حُسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرًا (إلاّ إن كان في معصية الله تعالى)، ولا تفشين له سرًا، فإنك إن خالفتِ أمره أوغرتِ صدره، وإن أفشيتِ سره لم تأمني غدره. ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهمومًا، والكآبة بين يديه إن كان مسرورًا.

وكما أن للزوج حقوقاً عند زوجته، فإن للزوجة أيضًا حقوقًا عند زوجها: قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فإذا طالب الرجل بحق من الحقوق فليعلم أنه مطالب بحقوق إزاءها أيضًا، ورضي الله عنه ابن عباس فقد كان يقول: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي.

حقوق الزوجة على زوجها

١- المعاشرة بالمعروف: لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وهذا يشمل كل جميل في المعاملة مع زوجته، والرفق مع الزوجة والإحسان إليها من مظاهر اكتمال الخلُق، يقول النبي ﷺ (والحديث في صحيح الترمذي): «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم».

٢- تعليمها الضروري من أمور دينها، أو أن يأذن لها أن تحضر مجالس العلم، حتى تزكّي نفسها،

الحلقة التاسعة

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

إعداد / متولي البراجيلي

وتعمل بما تتعلم، فالعمل الصالح لابد له من توافر العلم.

٣- وإن من أعظم الحقوق للزوجة أن يأمرها بإقامة دين الله تعالى، والمحافظة على الصلوات في وقتها، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وأن يمنعها من التبرج والاختلاط، ولا يسمح لا أن تفسد في خلق أو دين، وفي الحديث المتفق عليه: «.. الرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته».

٤- أن يأذن لها في الخروج من البيت إذا احتاجت إليه ؛ كأن ترغب في الصلاة في المسجد، أو في زيارة أهلها وأقاربها أو جيرانها، مع مراعاة الضوابط الشرعية.

٥- ألا يفشي سرها، ولا يذكر عيوبها، فهو أمين عليها، ولا يذكرها إلا بخير، وقد سبق التحذير من ذكر أسرار الفراش.

٦- استشارتها في الأمور وخاصة التي تخصها وأولادهما، اقتداءً برسول الله ﷺ فقد كان يستشير نساءه ويأخذ برأيهن، كما في صلح الحديبية عندما قال لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا»، فلم يقم منهم أحد، حتى دخل على أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت: يا نبي الله أتحب ذلك ؟ أخرج، ولا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا. (صحيح البخاري).

٧- عدم السهر خارج المنزل إلى ساعة متأخرة من الليل، فإن هذا يؤرقها، وربما يدبُّ في صدرها الشكوك والوساوس إن طال السهر وتكرر.

فإن من حق المرأة ألا يسهر ولو في البيت بعيدًا عنها حتى يؤديها حقها، وقد أنكر النبي ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - طول سهره واعتزال امرأته، وقال له: «إن لزوجك عليك حقًا». (متفق عليه).

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في لطيف معشره، وجميل ودّه مع أمهات المؤمنين، وكيف لا ؟ وقد وصفه ربه سبحانه وتعالى، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وأمرنا بالتأسي به في جميع شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، إلا في الأمور الخاصة به ﷺ، والتي ثبتت خصوصيتها بقرينة معلومة:

الرسول ﷺ الأسوة الحسنة

فعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني: في خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

(أخرجه البخاري).

وفي رواية عند الإمام أحمد وغيره: يخصف النعل، ويرقع الثوب ويخيط.

-وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يرخِّم عائشة رضي الله عنها: فيناديها: «يا عائش»، وذلك لأن ترخيم اسم المرأة (وهي كالطفل في هذا) يدخل السرور على قلبها، ويدل على رضا زوجها عنها، ويحببه إليها ويحببها إليه.

-وكان النبي ﷺ لا يدع فرصة مناسبة إلا وأدخل السرور فيها على أمهات المؤمنين، حتى وإن كانت على غير المعتاد منه ﷺ، فانظر كيف يعدو النبي ﷺ مع عائشة كي يدخل البهجة على قلبها.

فقد أخرج النسائي في عِشرة النساء (وهو في السلسلة الصحيحة للألباني): عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ، في سفر، وهي جارية [قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن]، فقال لأصحابه: تقدموا، [فتقدموا]، ثم قال: تعالي أسابقك، فسابقته، فسبقته على رجلي، فلما كان بعد (وفي رواية: فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت) خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: تقدموا، [فتقدموا]، ثم قال: تعالي أسابقك. ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذا الحال ؟ فقال: لتفعلن، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك، وقال: هذه بتلك السبقة.

(وأنت ترى أن النبي ﷺ يمازح عائشة مع

المراعاة التامة للضوابط الشرعية في قوله لأصحابه: تقدموا، فيعدو ﷺ وعائشة من خلف الصحابة، لكي لا يراقب رجل منهم - وهم خير القرون - عائشة وهي تعدو).

وانظر إلى تسكينه قلب عائشة رضي الله عنها لما اشتكت له ﷺ أن كل أمهات المؤمنين لهن كنى إلا هي، وهي لم تُرزق بالولد، فرَّق النبي ﷺ لها، كما بالحديث وهو في مسند أحمد (وبالسلسلة الصحيحة للألباني): أن عائشة قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، كل نسائك لها كنية غيري، فقال لها رسول الله ﷺ: اكتني بابنك عبد الله، يعني ابن الزبير (والزبير بن العوام هو زوج أسماء أخت عائشة)، أنت أم عبد الله. فكان يقال لها أم عبد الله حتى ماتت ولم تلد قط.

-ولما بكت رضي الله عنها عندما حاضت في حجة الوداع (والحديث بتمامه في الصحيحين)... قلت: يا رسول الله، يرجع الناس بحجة وعمرة وارجع بحجة ؟ قالت: فأمر عبد الله بن أبي بكر (أخاها)، فأردفني على جمله، قالت: فإني لأذكر وأنا جارية حديثة السن، أنعس فيصيبُ وجهي مؤخرة الرحل، حتى جئنا إلى التنعيم، فأهللت منها بعمرة، جزاءً بعمرة الناس التي اعتمروا.

-وانظر إلى النبي ﷺ، لما جلست عائشة تحكي له قصة الإحدى عشرة امرأة (حديث أم زرع وهو في الصحيحين)، كيف اختار أفضل النماذج وهو نموذج أم زرع وأبي زرع فقال لعائشة رضي الله عنها: كنت لك كأبي زرع لأم زرع.

فهذا تطييب لنفسها وإيضاح لحسن عشرته، ومعناه: أنا لك كأبي زرع وكان هنا لا تعني فيما مضى، وإنما هنا إمّا زائدة أو تفيد الاستمرار والدوام كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، فهو كان وما زال سبحانه وتعالى.

-وكان النبي ﷺ يراعي عائشة رضي الله عنها حتى في محبتها للعب والمشاهدة من يلعبون (والحديث في البخاري والسياق هنا للنسائي في كتاب عشرة النساء).

عن عائشة رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ - قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي: يا حميراءُ (أي شديدة البياض)، أتحبين أن تنظري إليهم؟ فقلت: نعم، فقام بالباب، وجئته، فوضعت ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خدِّه، قالت: فقال رسول الله ﷺ: حَسْبُكِ. فقلت: يا رسول الله، لا تعجل، فقام لي، ثم قال: حسبك. فقلت: لا تعجل يا رسول الله، قالت: وما لي حبُّ النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامُهُ لي، ومكاني منه.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا (فانتبه فإن هذا معناه ضعف كل الأحاديث التي فيها ذكر الحميراء إلا هذا الحديث في قول الحافظ ابن حجر).

-ويبين لنا رسول الله ﷺ كيفية معاملة المرأة إذا حاضت، وليس كما يفعل اليهود - لعنهم الله - الذين كانوا إذا حاضت المرأة منهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت (أي لا تكون معهم في البيت الواحد، وإذا كانت معهم في بيت واحد فإنها تكون في أقصى حجرة بالبيت كأنها رجز من عمل الشيطان).

فلما سأل أصحاب النبي ﷺ النبيَّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح...» والحديث بتمامه في صحيح مسلم.

فكانت عائشة إذا حاضت (والحديث في صحيح مسلم): قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاهُ على موضع فيَّ، فيشرب، وأتعرَّق العَرق (أي العظم الذي عليه بقايا اللحم) وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاهُ على موضع فيَّ.

وكان ﷺ رفيقًا بعائشة رضي الله عنها وصواحبها، (والحديث في صحيح البخاري): عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات (أي عرائس من قماش قطن ونحوه) عند النبي ﷺ كان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمَّعن (أي يختبئن وراء الستار) منه، فَيُسرِّ بهُنَّ (أي يرسلهن) إليَّ فيلعبن معي.

-والنبي ﷺ مع ان معه تسع نسوة لم يضرب واحدة منهن، كما تقول عائشة رضي الله عنها (والحديث في صحيح مسلم) قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قطُّ بيده ولا امرأة ولا خادمًا.

-ولم تكن حُسن عشرة النبي ﷺ مع عائشة فقط، بل مع كل أمهات المؤمنين.

-فكان ﷺ (والحديث متفق عليه) يجلس عند بعيره فيضع ركبته، فتضع صفية رضي الله عنها رجلها على ركبته ﷺ حتى تركب.

وانظر إلى سمو أخلاقه ورفيع أدبه ﷺ، عندما أراد أن يتزوج أم سلمة رضي الله عنها (والحديث في صحيح مسلم واللفظ هنا للنسائي في كتاب عشرة النساء) عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما وضعتُ زينب، جاءني النبي ﷺ فخطبني، فقلت: ما مثلي تنكح أما أنا فلا ولد فيَّ، وأنا غيور ذاتُ عيال. قال: أنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله ورسوله. فتزوجها، فجعل يأتيها ويقول: أين زُنَابُ ؟ حتى جاء عمَّار يومًا فاختلجها (أي نزعها وأخذها)، فقال: هذه

تمنع رسول الله ﷺ ، وكانت ترضعها، فجاء إليَّ فقال: أين زُنابُ ؟ قالت: قُرَيْبَةُ (أخت أم سلمة): ووافقها عندما أخذها عمار، فقال النبي ﷺ: أنا آجيكم الليلة، فبات النبي ﷺ ثم أصبح، فقال حين أصبح: إن بك على أهلك كرامة، فإن شئت سبَّعتُ لك، وإن أسبِّعْ، أسبِّعْ لنسائي.

وفي رواية مسلم: أن رسول الله ﷺ لما تزوج أم سلمة أقام عندها ثلاثًا.

وفي رواية لمسلم أيضًا: أن رسول الله ﷺ حين تزوج أم سلمة فدخل عليها فأراد أن يخرج (أي بعد ثلاث أيام) أخذت بثوبه فقال رسول الله ﷺ: إن شئت زدتكِ وحاسبتك به، للبكر سبعٌ وللثيِّب ثلاث.

ترى في الحديث كيف كانت معاملة النبي ﷺ لأمهات المؤمنين، فعندما قالت أنها تقدمت في السن ولا تصلح للزواج، فإن النبي ﷺ قال لها: أنا أكبر منك، ولما قالت: وأنا غيورٌ ذات عيال، فإن النبي ﷺ قال: وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله ورسوله (أي هو كفيل بهم ﷺ).

ولما كان يأتيها ﷺ كان يداعب زينب ابنتها مرخمًا اسمها: أين زنابُ؟ ولما أقام عندها ثلاثًا - كما هي السنة مع الثيب - وأمسكت بثوبه لا تريد أن يفارقها، فإن النبي ﷺ لم يكن جافيًا أو غليظًا معها على أنها قد أخذت حقها بل خيّرها رسول الله ﷺ أن يكمل عندها سبعًا على أن يُسبِّع لأمهات المؤمنين، فاختارت الثلاث.

بل حتى مع خديجة رضي الله عنها بعد موتها حتى غارت عائشة رضي الله عنها (والحديث في سنن الترمذي): عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من أزواج النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها وما ذاك إلاَّ لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، وإن كان ليذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن.

الإعسار

رأينا الضوابط التي وضعها المشرِّع داخل الحياة الزوجية حتى تستقيم وتؤتي ثمارها، وكيف أمر الله تعالى بإحسان كل من الزوجين للآخر، لكن مع هذا قد تحدث خلافات وشقاق بين الزوجين، والمنهج الإسلامي في وقاية المجتمع من الفاحشة وجهنا لحسن المعاملة وإحسان العشرة وبيَّن لنا الضوابط والتوجيهات في حال الإعسار.

وقبل أن نتكلم عما يفعله الزوجان في حال الإعسار، نقول: إن الأصل في العلاقات بين المسلمين أنها قائمة على المودة والتراحم والإحسان، والكلمة الطيبة صدقة، ولها في القلب أثرٌ عجيب، فإذا كان الطعام غذاء البدن، ولا حياة للبدن بلا غذاء، فإن الكلمة الطيبة غذاء الروح، ولا حياة للروح بلا كلام طيب جميل.

تبسمك في وجه أخوانك صدقة، إدلاؤك ما في دلوك لدلو أخيك صدقة، لا حسد، ولا حقد، ولا ضغينة، لا غيبة، ولا بهتان، لا سخرية، ولا شماتة.

أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. ويقول النبي ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى. (متفق عليه).

هذا في العلاقات بين عموم المسلمين.

ثم هناك من خصَّه الله تعالى ورسوله ﷺ بمزيد توجيه، وهو الجار، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

فالجار ذو القربى: أي الجار القريب، الذي له حقان، حق الجوار، وحق القرابة.

والجار الجنب: أي الجار الذي ليس له قرابة، والصاحب بالجنب: قيل الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل: الصاحب مطلقًا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر، ويشمل الزوجة. (تفسير السعدي).

فائدة: حديث: الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة... حديث ضعيف، وهو في السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني.

ويقول النبي ﷺ (والحديث متفق عليه): مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثُهُ.

فالزوجة بالإحسان إليها تدخل في ثلاثة أنوع من الإحسان: الإحسان العام لكل المسلمين، الإحسان الخاص للجيران، الإحسان خاص الخاص للزوجة.

وقد رأينا - فيما سبق - كيف أوصى الله تعالى الزوج بالإحسان إلى زوجته، وأوصى الزوجة بالطاعة لزوجها، ورأينا أحاديث النبي ﷺ المتوافرة في هذا الأمر.

-ولكن مع كل هذا فإن الحياة البشرية يعتريها التغير والتبدل، وكرُّ الأيام والليالي يفعل في القلب ما لم يكن في الحسبان، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ويقول النبي ﷺ (والحديث في صحيح مسلم): «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب وحد، يُصرِّفه حيث يشاء..».

ولأن المنهج - كما بينا من قبل - منهج شامل، فقد بيَّن للزوجين ما يفعلانه في حال عسرهما.

كما سنرى إن شاء الله تعالى، وللحديث بقية بإذن الله.



إعداد / أسامة سليمان



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن من العقائد المتشابهة عند اليهود والرافضة، الغلو في الحب والبغض، فعلى حين يغالي اليهود في بعض أنبيائهم وحاخاماتهم حتى يرفعوهم إلى درجة الربوبية، يشنعون على البعض الآخر فيصفونهم بأبشع الصفات وأقبحها كالشرك بالله تعالى وعبادة الأصنام والزنى وشرب الخمر، وفي مقابل ذلك المعتقد عند اليهود يأتي غلو الرافضة في أئمتهم، مع طعنهم في غالب أصحاب النبي الأمين ﷺ، فهم مرتدون كفار إلا ثلاثة كما سنبين ذلك في هذا المقال الذي يتناول:

١- غلو اليهود في حبهم لبعض الأنبياء والحاخامات.

٢- قدح اليهود في بعض الأنبياء والحاخامات.

٣- غلو الرافضة في أئمتهم.

٤- طعن الرافضة في الصحابة رضوان الله عليهم.

٥- أوجه الشبه بين المعتقدين.

٦- الرد على ذلك المعتقد الفاسد.

أولاً: غلو اليهود في حبهم

لقد جاوز اليهود في حبهم لبعض الأنبياء حتى رفعوهم إلى منزلة الألوهية، من ذلك ما جاء في سفر الخروج: «فقال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلهًا لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيًا». (الإصحاح السابع فقرة ١).

فموسى عليه السلام عندهم جاوز مقام العبودية إلى مقام الألوهية، ومن ذلك أيضًا غلوهم في يعقوب عليه السلام حينما زعموا أنه صارع الرب سبحانه وغلبه - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - وهذا السفر بين ذلك المعتقد: «فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، قال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك ؟ قال: يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت».

(سفر التكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون، فقرات ٢٤ - ٢٨).

وقد آمن اليهود بحلول الله سبحانه في بعض أنبيائه ورسله، يؤكد ذلك ما ورد على لسان نبيهم إشعيا في وصف المسيح المنتظر: «ويخرج قضيب من جذع، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة مخافة الرب».

(سفر إشعيا، الإصحاح ١١ فقرات ٢٠١).

ومن هذا الباب أيضًا اعتقادهم أن بعض الأنبياء يعلمون الغيب، فإيليا عليه السلام علم متى سينزل المطر قبل ظهور علاماته.

(راجع سفر الملوك الأول، الإصحاح الثامن عشر، فقرات ٤١ - ٤٥).

وعلى نفس سياق الغلو في الأنبياء غالى اليهود في حاخاماتهم، فالتلمود الذي يمثل آراء الحاخامات أفضل من التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، جاء في التلمود: «التفت يا بني إلى

أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى». (الكنز المرصود ص٤٥).

وفيه أيضًا: «من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما في شريعة موسى». (الكنز الموصود ص٤٤).

بل فيه أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وأقوالهم تماثل أقوال الشريعة يجب الأخذ بها حتى وإن كانت خاطئة، ففي التلمود: «ومن يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأها وكأنه جادل العزة الإلهية». (الكنز المرصود ص٤٦).

وفيه: «مخافة الربانيين هي مخافة الرب نفسها». (إسرائيل والتلمود ص٦٥).

وقد بلغوا من غلوهم في حاخاماتهم أنهم يعلمون الملائكة في السماء، وأن الله سبحانه يستشيرهم في حل بعض المشاكل وهم معصومون، ليس هذا فحسب، بل إن الحيوانات التي يستخدمها الحاخامات هي الأخرى معصومة، فحمار الحاخام لا يأكل شيئًا محرمًا».
(الكنز المرصود ص٤٧).

ثانيا: قدح اليهود في البعض الآخر

على النقيض مما سبق بيانه بشأن بعض الأنبياء والحاخامات فإن اليهود يطعنون في البعض الآخر ويرمونهم بأبشع الجرائم وأقبح الصفات، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١- اتهامهم للوط عليه السلام بأنه زنى بابنتيه. (راجع سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر).

٢- افتراؤهم على هارون عليه السلام بأنه صنع عجلاً لبني إسرائيل من الذهب ليعبدوه عندما تأخر عليهم موسى عليه السلام.

(راجع سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون فقرات ١-٤).

٣- إفكهم على داود عليه السلام حيث يتهمونه بالزنى مع امرأة أحد ضباط جيشه، ثم تدبيره لقتل زوجها بعد علمه بأنها حملت منه من الزنى.

(راجع سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١ فقرات ٢ - ٦).

٤- أما سليمان عليه السلام فتصوره الأسفار على أنه كان همه إشباع رغباته النفسية من مأكل ومشرب ونساء، وقد انصرف في آخر حياته إلى عبادة الأصنام.

(راجع سفر الحلول الأول، الإصحاح ٤ فقرات ٢١ - ٢٣).

٥- بهتانهم على عيسى عليه السلام وأمه العذراء البتول، حيث لم يترك اليهود جريمة إلا ألصقوها بهما، فرموهما بالسحر والجنون والكفر، بل ادعوا بأن عيسى أتت به أمه من الزنى !! برأه الله مما يقول المجرمون، فقال تعالي ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

٦- أما طعنهم في بعض الحاخامات والكهنة فأسفارهم تطفح بهذا، من ذلك ما جاء في سفر إرميا: «لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعًا، بل في بيتي وجدت شرهم يقول الرب».

(الإصحاح ٢٣، فقرة ١١).

٧- هذا قليل من كثير من غلو اليهود في بعض الأنبياء والحاخامات، فهم يرفعون البعض إلى مرتبة الألوهية ويضعون الآخرين إلى درجة الملاحدة والكفار، وهذا يبين عدم اعتدالهم في الحب والبغض.

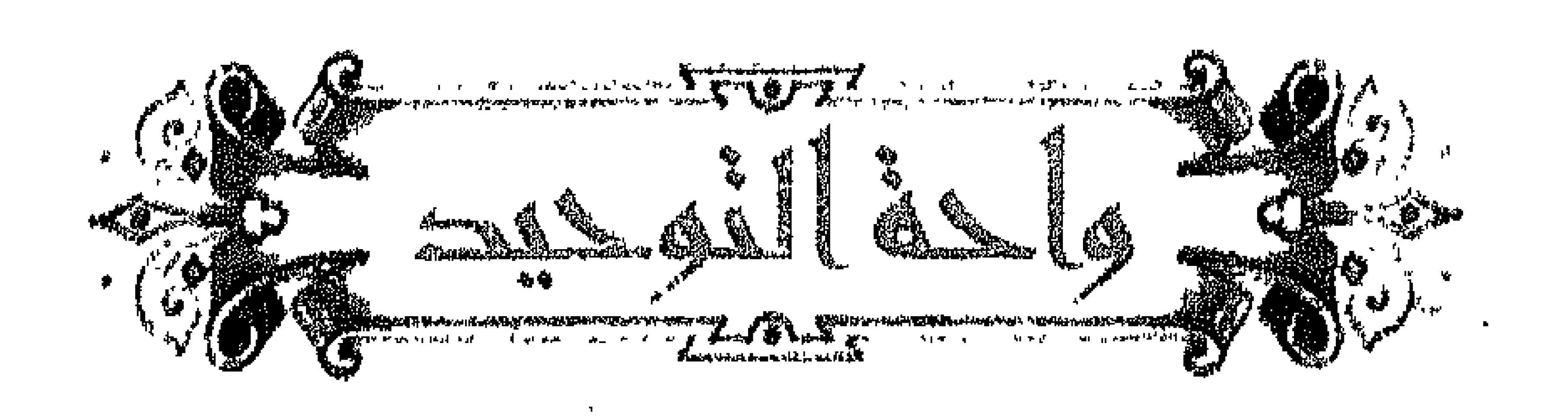
وعلى نفس الخط سارت الرافضة، فعليّ رضي الله عنه - في اعتقادهم- هو وصي النبي، وخليفته من بعده، وباقي الخلفاء الراشدين غاصبون مخالفون لأمر النبي ﷺ، بل هم كفار مرتدون، بل إن كل من أحبهم وتولاهم فهو معهم في ذات الحكم، جاء في الكافي: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة هم: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي...».

(روضة الكافي ٢٤٥/٨).

ولأجل تلك العقيدة الفاسدة راح هؤلاء وعلى رأسهم ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) يضعون النصوص التي تبين فضل علي رضي الله عنه وينسبونها زورًا وبهتانًا إلى النبي ﷺ ؛ ليظهر بذلك رجحان كفة علي رضي الله عنه على الخلفاء الذين سبقوه، وفصلوا صفات الإمام وأسقطوها على علي رضي الله عنه، بل جعلوها شرطًا من شروط الإمامة أثبتوها لكل أئمتهم.

وبهذا المنهج الخبيث راحت الرافضة تؤصل لمذهبهم الفاسد ألا وهو «عصمة الأئمة» وأحقيتهم في الخلافة والطعن في الصحابة وتكفيرهم وخروجهم عن شروط الإمامة، وهذا ما سنبينه في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

والله من وراء القصد.



من نور كتاب الله

إعطاء كل ذي حق حقه

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

من هدي رسول الله ﷺ

أفعال تجوز في الصلاة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي تطوعا والباب عليه مغلق فجئت فاستفتحت (أي طرقت عليه الباب) فمشى ففتح لي (وهو يصلي) ثم رجع إلى مصلاه. وذكرت(أي عائشة) أن الباب كان في القبلة. [رواه الترمذي].

من فضائل الصحابة

الشيطان يهرب من عمر

عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إيهاً يا ابن الخطاب! و الذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك. (الفج بالفتح: الطريق الواسع بين الجبلين). [رواه البخاري].

من دلائل النبوة

الرسول يخبر بالفتوحات قبل وقوعها

عن نافع بن عتبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وسلم تغزون جزيرة العرب تحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله.

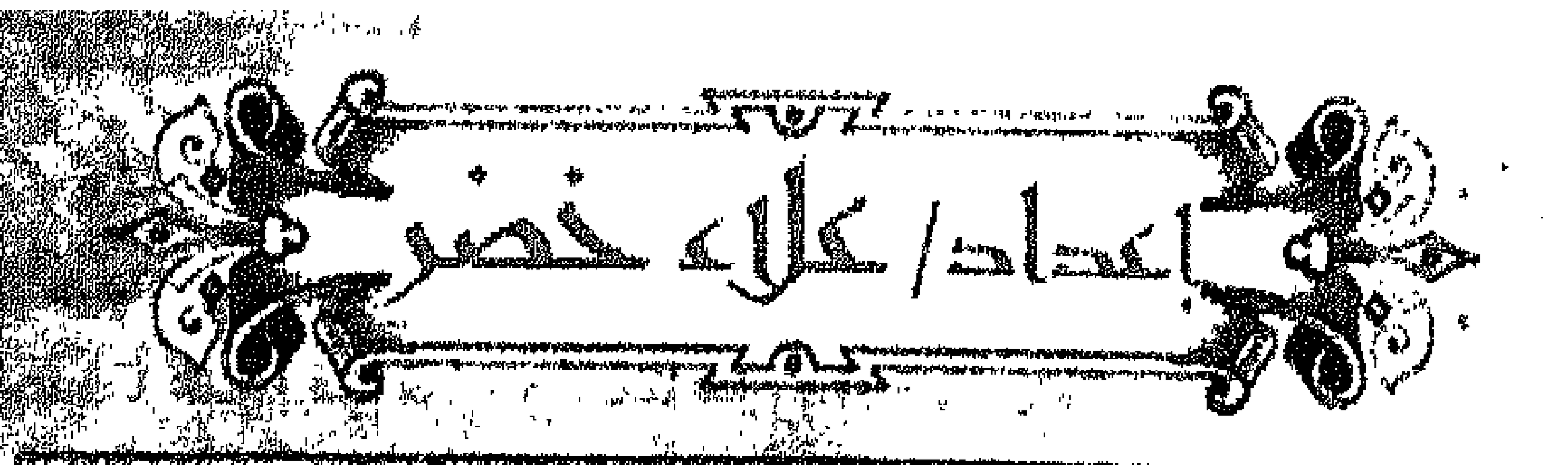
[رواه مسلم].

من جوامع الدعاء

عن أبي اليَسَرِ رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا». سنن ابي داود.

حكم ومواعظ

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كتب إلى مسلمة بن مخلد: أما بعد! فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حببه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، وإذا أبغضه الله بغضه إلى خلقه. [كنز العمال]



من وصايا السلف

عن علي رضي الله عنه قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وتباهي في عبادة ربك، إن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. لا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنبا فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل سارع في دار الآخرة. [كنز العمال]

للوقاية من الشيطان وأذاه

وصايا عند النوم

عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أغلق بابك واذكر اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله وخمر إناءك ولو بعود تعرضه عليه (أي لا تترك أواني الطعام مكشوفة وغطها ولو بعود على وجه الإناء) واذكر اسم الله، وأوك سقاءك (أي شدُّوا رُؤوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شيء) واذكر اسم الله. [سنن أبي داود].

من علامات الرزق الحلال!

قال ابن رجب إن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه ريب، بل تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب، وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك. [جامع العلوم والحكم ٩٤]

من حكمة الشعر

قال الشافعي في ديوانه عن العفو:

لما عفوتُ ولم أحقدْ على أحدٍ
أرحتُ نفسي من همِّ العداوات

إني أُحَيِّيْ عدوي عند رؤيته
لأدفعَ الشر عني بالتحيات

وأظهرُ البشر للإنسان أبغضُهُ
كأنما قد حشى قلبي محبات

الناسُ داءٌ دواءُ الناس قُرْبُهمْ
وفي اعتزالهمْ قطعُ المودات

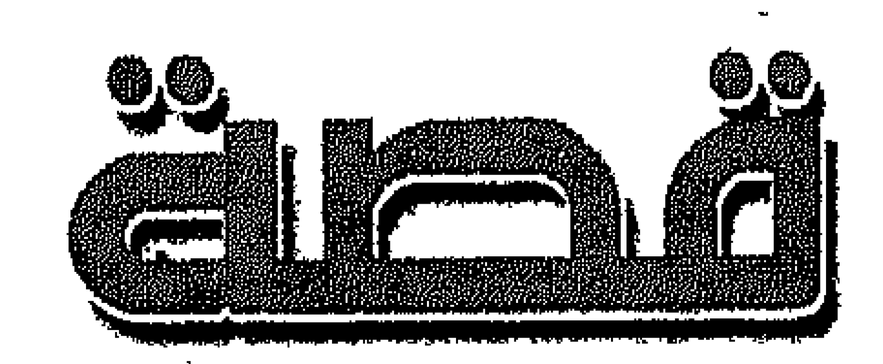
من درر العلماء في إثبات صفات الرحمن

قال الحافظ ابن عبد البر: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لم يكيفوا شيئا من ذلك. وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل منها شيئا على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود). [من غريب الحديث]

وصايا لطلاب العلم

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق وقلبه حسن النية، ورجله زيارة العلماء، ومركبه الوقار وسلاحه لين الكلمة، وذخيرته اجتناب الذنوب وزاده المعروف، ومأواه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه صحبة الأخيار. [كنز العمال]





قصة عزير

إعداد / عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على رسول الله البشير النذير، أما بعد:

فقد كثرت في بني إسرائيل الأعاجيب، ومن عجيب ما وقع فيهم الإماتة والإحياء، وقد مرَّ بنا شيء من ذلك في الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله ثم أحياهم، وكذلك الذين طلبوا من موسى - عليه السلام - رؤية الله جهرة فأماتهم الله، ثم أحياهم.



ومن العجائب أيضًا إحياء الموتى وتكليمهم للأحياء، وقد وقع ذلك في قصة البقرة المشهورة، وقد تحدثنا عنها من قبل، وأيضًا ما رواه أحمد وأبو داود وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٢٠٩) عن جابر رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «لو خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل أن يخرج لنا رجلاً ممن قد مات نسأله عن الموت، قال: ففعلوا فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك المقابر بين عينيه أثر السجود، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إليَّ؟ فقد مت منذ مائة سنة، فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن فادعوا الله عز وجل يعيدني كما كنت».

ومن ذلك قصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها وسأل متعجبًا عن كيفية إحياء الله لهذه القرية بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه، وهذا موضوعنا اليوم الذي نقف معه، ولنبدأ بذكر الآية الكريمة التي وردت فيها هذه القصة: قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

والكلام عن هذه القصة يقع تحت مسائل:

الأولى: حول المقصود بالقرية والذي مر عليها:

قال صاحب فتح القدير في عبارة مختصرة: «هو عزير؛ من أنبياء بني إسرائيل مرَّ على قرية من أرض بيت المقدس بعد تخريب بختنصر لها». اهـ.

ونقل الإمام ابن كثير في تفسيره هذا القول عن جمع من السلف، وقال: المشهور أن المقصود بالرجل هو عزير». أما عن القرية فقال: «فالمشهور أنها بيت المقدس مرَّ عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها». اهـ.

ويقول مقيده عفا الله عنه: نعم هذا قول جمهور المفسرين من السلف، ولكن بعض العلماء والباحثين والمفسرين من المتأخرين يرون أن ذكر الأسماء لا يتعلق به كثير فائدة(١).

وبعضهم صرَّح بأن هذا رأي جمهور المفسرين، ثم يرى عدم أهمية ذكر الأسماء(٢).

والبعض يرى أنه ليس «عزيرًا» المقصود وليس بنبي(٣).

وسنعود لهذا الموضوع مرَّة أخرى، لكني أرى ما يراه الجمهور وسأعلل لماذا في حينه بعون الله، قد يأتي التعليل في خلال الشرح والبيان.

المسألة الثانية: في معاني المفردات:

١- «أو» حرف عطف، و«الكاف» بمعنى «مثل»، والقصة هنا معطوفة على القصة السابقة لها قصة الذي حاج إبراهيم في ربه.

والمعنى: انظر أيها النبي، وتأمل يا كُلٌّ من تقرأ القرآن أو تسمع في كل زمان ومكان إلى قصة هذا الرجل الذي مرَّ على قرية مثل ما سمعت إلى قصة الذي حاج إبراهيم في ربه وغيرها من القصص.

٢- قوله تعالى: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: أصابها الخراب والدمار من كل جانب، مات أهلها وسقطت سقوفها وجدارنها وتهدمت كل جنباتها، ولم يبق فيها أثر لحياة قط.

٣- في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال ابن كثير رحمه الله: لم يقلها شكًا ولا إنكارًا للبعث، بل قالها تعجبًا. والحقيقة أن هذه الجملة التي قالها الرجل من أهم ما جعله منكروا نبوة الرجل حجة لهم، فقال قائلهم: «لو كان نبيًا أو عبدًا صالحًا لم يقل ذلك». واعتبروه منكرًا للبعث أراد الله هدايته، ونحن مع احترامنا للقائلين بهذا الرأي نقول لهم: على رسلكم، أنَّى لكم ذلك وما دليلكم عليه، إنها اجتهادات يعوزها الدليل.

ثم نقول لهم: ما تقولون في قول أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لربه: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقد جاءت قصته في الآية التي بعدها مباشرة، وماذا تقولون في قول زكريا - عليه السلام - حين قال: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨] ؟

ستقولون السؤال هنا في حقِّ إبراهيم وحقِّ زكريا عن الكيفية: ونقول: ما الذي يمنع من سؤال الرجل الصالح (عزير) أن تكون «أنَّى» عنده للكيفية وليست للاستبعاد والإنكار، وأنه أراد كما أراد إبراهيم - عليه السلام- ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ورحم الله الإمام الشوكاني حين فسَّر قول الرجل في نهاية القصة (أعلم) قال معناه: «طمأنينة القلب». وبهذا تندفع أكبر شبهة عند من يرى أن الرجل ليس «عزيرًا» ولا «نبيًا»، والله أعلم.

٤- ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ قال له: مت فمات، أمر كوني لا منازع له، ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أيضًا أمر كوني بالبعث وبينهما مئة عام. أماته الله مائة عام ثم بعثه لينجلي له الدرس العملي بوضوح تام وإن كان الدرس مدته مائة عام فإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون، لم يمته الله يومًا أو بعض يوم، كما ظن هو، بل أماته مائة عام، ثم بعثه حتى تنجلي طلاقة القدرة الإلهية بما لا يدع مجالاً للشك ولا مثقال ذرة، وقد سأله ربه سؤال تقرير وهو يعلم: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ ميتًا قال: يومًا أو بعض يوم، هذا أقصى ما يتخيله عقل، وقد ظن أنه كان نائمًا لكن جاءته الإجابة التي لم يكن يتوقعها، ثم توالت الدروس والعبر التي نطالعها بعون الله في اللقاء الآتي، إن شاء الله.

هوامش:

١- الشيخ العلامة ابن عثيمين - رحمه الله-.

٢- د. محمد بكر إسماعيل: «في قصص القرآن».

٣- الشيخ العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره.

عزاء

توفي ظهر الخميس ٢٥ رمضان ١٤٢٨هـ الشيخ مختار حسانين حمامة رئيس فرع منشاة البكاري بالهرم، وقد نهض الفرع في فترة رئاسته نهوضًا ملحوظًا.

نسأل الله أن يغفر له ويرحمه، وأن يتجاوز عن سيئاته.

التحرير

الشيخ فوزان بن سابق ابن فوزان

١٢٧٥هـ - ١٣٧٣هـ

أول سفير للسعودية بمصر

إعداد/ فتحي أمين عثمان

اسمه: فوزان بن سابق بن فوزان آل فوزان، من عشيرة آل عثمان، أحد أفخاذ قبيلة الدواسر.

مولده: ولد في بريدة عام ١٢٧٥هـ، ونشأ فيها، وتعلم في كُتَّابها مبادئ القراءة والكتابة، ثم شرع في طلب العلم.

طلبه للعلم: سافر إلى الرياض، فقرأ على العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

كما سافر إلى الهند هو والشيخ علي بن وادي لطلب العلم على العلامة الشيخ صديق حسن خان، ولما لم يتيسر له ذلك أخذ في القراءة على محدث الهند الشيخ نذير حسين.

عاد إلى القصيم وكان شيوخه كما يقول الشيخ محمد حامد الفقي يتوسمون فيه النجابة والذكاء، وقوة الحافظة، وشدة الحرص على طلب العلم، والحرص على الوقت، وكانوا يتحدثون أنه سيكون من النابغين، لو أنه تابع السير في طلب العلم على هذا النهج.

لكنه - رحمه الله - بعد أن أخذ حظًا من علوم العربية والتوحيد والتفسير والفقه، ذهب يطرق أبواب الحياة العملية، فاشتغل بالتجارة في الخيل والإبل، وسكن الشام، ثم حبب إليه إخوانه في مصر وتجارته الرابحة فيها، فسكن مصر واستقر بها، واتخذ دارًا في مطرية الزيتون، وكانت أول رحلة له إلى مصر، كما يقول هو بعد ثورة عرابي بعامين، ومعنى هذا أنه كان تاجرًا سنة ١٣٠٠هـ.

كانت داره قبلة العلم والعروبة والكرم، ويقول الشيخ حامد الفقي في مجلة الهدي النبوي: وفي داره العامرة تعرفت عليه بواسطة أخي في الله الشيخ محمد ملوخية المدني في عام ١٣٢٨هـ، إذ كنت طالبًا في الأزهر وكنا نذهب إليه كل يوم جمعة، فنصلي معه الجمعة، ثم يكرمنا بواجب الضيافة، ثم بعد ذلك يزودنا بالمعلومات والكتب العلمية، ففي داره وبيده غرست أنصار السنة، وفي داره وبيده ترعرعت أنصار السنة، حتى كان يوم موته - رحمه الله - قرة لعينه.

وللشيخ - رحمه الله - أياد بيضاء على العلم وطلبته، ففي كل بلد كان يحل به يكون بيته منتدى لطلبة العلم، ونشر التوحيد ومذهب السلف، وكم لاقى من معارضات المعاندين والمخرفين، والله ينصره عليهم، وكم من خير ومعونة صادقة قدمها للسلفيين، وخصوصًا لأنصار السنة المحمدية، فقد سعى لدى الملك عبد العزيز رحمه الله في مساعدته على شراء دار الحلمية الجديدة، فتبرع بألف وستمائة جنيه مصري - في ذلك الوقت - فجزاهما الله أفضل الجزاء.

وكم نشر من كتب علمية بماله وبالوساطة عند الملك عبد العزيز رحمه الله، هذه الكتب نفع الله بها نفعًا عظيمًا، وآخر مآثره في العلم: كتاب

«البيان والإشهار لكشف زيغ الحاج مختار» الذي كان مشتغلاً بتأليفه من أيام كان بالشام، وشغلته أعماله السياسية عن إتمامه ونشره، فلما تفرغ من السياسة عكف عليه فنقحه وأتمه، ثم طبعه بمطبعة أنصار السنة المحمدية قبل سَفْرَتِهِ إلى الحج، التي ودع فيها بيت ربه.

ويستمر الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - في ذكر مآثر الشيخ الفوزان وفضله في العطاء فيقول: وفي داره وبواسطته تشرفت بالاتصال بآل الشيخ، وبالملك عبد العزيز - أسكنه الله فسيح جناته - وبأصحاب السمو أنجاله الأمراء.

وقد عين الشيخ الفوزان عميدًا للسلك السياسي بمصر بمدة تزيد عن الثلاثين عامًا، وكانت له مكانة عند الملك عبد العزيز الذي لم يكن يعامله كموظف، وإنما كان يعامله كشخصية لها مكانتها العلمية في المجتمع.

وعن ذلك يقول الأستاذ خير الدين الزركلي: ظل الفوزان اثني عشر عامًا وهو قائم بأعمال المفوضية بمصر، وأنا مستشار له، وكان الملك عبد العزيز يرى وجوده في العمل وقد طعن في السن إنما هو للبركة، وللاستفادة من خبراته - ولما رزق الفوزان بابن وهو في نحو الثمانين، أرسل إليه الملك عبد العزيز، وجعله وزيرًا مفوضًا نحو ثلاث سنوات.

شيوخه ورحلاته في طلب العلم:

يقول الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - عن الشيخ الفوزان السابق: بدأ حياته طالبًا للعلم على كبار علماء مسقط رأسه «بريدة» من مدن القصيم، ثم رحل في طلب العلم إلى الرياض، فنهل من موارد علمائها من آل الشيخ وغيرهم، الذين كانوا في ذلك الوقت محط رحال طلاب العلم الصحيح في الجزيرة العربية وغيرها، وكان من أقرانه في طلب العلم: الإمام عبد الرحمن بن فيصل والد الملك عبد العزيز - غفر الله لهما - والشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، وأمثالهم من كبار رجال آل سعود، وآل الشيخ، رحمهم الله.

ويضيف الشيخ عبد الله البسام في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون»: ومن أشهر مشايخه الشيخ سليمان بن مقبل، والشيخ محمد بن عمر آل سليم، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، ولما عينه الملك عبد العزيز معتمدًا له في دمشق، فاتصل برجال العلم هناك وقرأ عليهم، فكان من مشاهير من أخذ عنهم الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والأستاذ محمد كرد علي.

عطاؤه العلمي:

قام بعمل فهرس منظم ومصوغ صياغة فقهية مفيدة لقواعد ابن رجب، ثم طبعه على نفقته الخاصة.

له كتاب اسمه «البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار»، وعن هذا الكتاب يقول الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان: هو كتاب مفيد في موضوعه، قد تصدى فيه مؤلفه - أثابه الله - لرد شبهات المشركين والمنحرفين الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون إما حسدًا وعنادًا، وإما طمعًا بالبقاء فيما هم فيه من رئاسة وأكل لأموال الناس بالباطل، فقد قام هذا المدعو: الحاج مختار بترويج شبه باطلة في وجه عقيدة التوحيد ودعوة الشيخ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه إلى الحق الذين يسميهم بالوهابية ويكرر ما قاله المخذلون من أمثاله: أحمد زيني دحلان، والنبهاني وغيرهما من أعداء دعوة التوحيد، فكان رد الشيخ الفوزان - أثابه الله -وغفر له- على هؤلاء ردًا مفحمًا مدعمًا بالأدلة والبراهين وأقوال الأئمة المعتبرين، فكان هذا الرد لبنة في بناء العقيدة الصحيحة ومعولاً في هدم الخرافات والشركيات، نصر الله به الحق وقمع به الباطل وأهله، وجزى الله مؤلفه الشيخ فوزان خير الجزاء وجعله في عداد المجاهدين في سبيله المدافعين عن دينه وسنة رسوله ﷺ.

وفاته:

كان قد مرض بالالتهاب الرئوي عقب عودته من الحج، وقد اشتد عليه المرض، ومن رحمة الله به وعظيم فضله عليه أن قام فجر يوم السبت الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٣هـ الموافق التاسع من شهر يناير ١٩٥٤م، ليتوضأ ويصلي، فلما فرغ من وضوئه وقف للصلاة وبدأ فيها، ثم جاءته نوبة إغماء فارق على إثرها الحياة، ولحق بربه طاهرًا مطهرًا.

وتولى الشيخ حامد الفقي غسله وتكفينه والصلاة عليه - كما أوصى بذلك - حتى واراه أصحابه في التراب، باكين على مروءته وشهامته وكريم خُلُقه.

أسأل الله سبحانه أن يجزيه عن العلم وطلبته وعن أنصار السنة بما هو له من كريم المثوبة وواسع المغفرة، وأن يحله دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يلحقنا به على خير.

حكم تقسيم الإنسان ماله على ورثته قبل وفاته

إعداد المستشار/
أحمد السيد إبراهيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنتسائل ما الحكم فيمن يقول: إني أريد أن أقسم مالي بين أولادي قبل أن أموت حتى لا يتنازعوا عليه بعد موتي ؟

بداية نقرر أن ذلك الفعل لا يطلق عليه ميراث، وذلك لعدم تحقق الشرط الأول من شروط الميراث وهو موت المورث، فالمورث هنا لم يمت ومن ثَمَّ فلا يقسم ماله على ورثته.

ثانيًا: نقول: إن ذلك الفعل قد يكون بنية حسنة وقد يكون بنية سيئة، فالنية الحسنة أن ينوي تقسيم المال على ورثته حتى لا يتنازعوا عليه بعد وفاته، والنية السيئة تكمن في حرمان بعض الورثة من الميراث كأن يكون للمرء زوجة وبنات وإخوة أشقاء فيقسم ماله على زوجته وبناته حتى لا يرث إخوته الأشقاء من ماله شيئًا بعد وفاته، وهذا لا شك يدخل تحت قوله تعالى بعد أن انتهى من إعطاء كل ذي حق حقه من الميراث: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

ثالثًا: يُرَدُّ على قوله: «حتى لا يتنازعوا عليه بعد موتي»، بقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، فمن خاف على أولاده أن يتنازعوا على ماله بعد موته فعليه أن يتقي الله ويسدد ويقارب ويربيهم على طاعة الله والخوف منه، وقد سمعنا عن أُناس وزعوا مالهم على أولادهم في حياتهم ولم يتركوا لأنفسهم شيئًا، فما كان من الأبناء إلا أن أعرضوا عن الأب ولم ينفقوا عليه بل ومنعوه من الانتفاع بماله حتى مات، وما هذا إلا لأنه أساء تربيتهم وخشي عليهم أن يتنازعوا على ماله بعد موته.

رابعًا: يجوز للمرء أن يعطي أولاده من ماله على سبيل الهبة أو الأعطية في حياته مع مراعاة الآتي:

١- يجب عليه أن يسوي بين أولاده في العطية؛ لما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا، فقال: أكلَّ ولدِك نحلت مثله ؟ قال: لا. قال: فأرجعه.

وروى أيضًا بسنده عن حصين بن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أُشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مِثْلَ هذا ؟ قال: لا. قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال: فرجع فرد عطيته. [رواه البخاري].

ولمسلم في رواية أبي حيان: «فقال: لا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد على جور». وفي رواية المغيرة عن الشعبي عند مسلم: «اعدلوا بين أولادكم في النُّحْل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر».

٢- صفة التسوية:

اختلف الفقهاء في صفة التسوية على رأيين:

الرأي الأول: رُوِيَ عن عطاء وشريح وإسحاق ومحمد بن الحسن تقسيم الأعطيات على حسب قسمة الله تعالى الميراث فيجعل للذكر مثل حظ الأنثيين.

قال شريح لرجل قسم ماله بين ولده: اردهم إلى سهام الله تعالى وفرائضه، وقال عطاء: ما كانوا يُقَسِّمون إلا على كتاب الله تعالى.

الرأي الثاني: عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن المبارك تعطى الأنثى مثل ما يعطى الذكر.

الأدلة: دليل الرأي الأول

١- قالوا: إن الله تعالى قسم بينهم فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وأولى ما اقتدي به قسمة الله تعالى.

٢- لأن العطية في الحياة أحد حالي العطية فيجعل للذكر مثل حظ الأنثيين كحال الموت (يعني الميراث).

٣- العطية استعمال لما يكون بعد الموت فينبغي أن تكون على حسبه: كما أن معجل وجوبها يؤديها على صفة أدائها بعد وجوبها وكذلك الكفارات المعجلة.

٤- لأن الذكر أحوج من الأنثى من قبل أنهما إذا تزوجا جميعًا فالصداق والنفقة ونفقة الأولاد على الذكر، والأنثى لها ذلك فكان أولى بالتفضيل لزيادة حاجته، وقد قسم الله تعالى الميراث ففضل الذكر مقرونًا بهذا المعنى فتعلل به ويتعدى ذلك إلى العطية في الحياة.

دليل الرأي الثاني

١- لأن النبي ﷺ قال لبشير بن سعد: «سو بينهم»، وعلل ذلك بقوله: أيسرك أن يستووا في برك ؟ قال: نعم. قال: فسو بينهم. والبنت كالابن في استحقاق برها وكذلك في عطيتها.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «سووا بين أولادكم في العطية ولو كنت مؤثرًا لآثرت النساء على الرجال»(١).

٣- لأنها عطية في الحياة فاستوى فيها الذكر والأنثى كالنفقة والكسوة.

الاعتراض على الأدلة

اعترض أصحاب الرأي الأول على أدلة الرأي الثاني بالاعتراضات الآتية:

١- حديث بشير قضية في عين وحكاية حال لا عموم لها وإنما ثبت حكمها فيما ماثلتها ولا نعلم حال أولاد بشير هل كان فيهم أنثى أو لا ؟ ولعل النبي ﷺ قد علم أنه ليس له إلا ولد ذكر.

٢- تحمل التسوية على القسمة على كتاب الله تعالى.

٣- يحتمل أنه أراد التسوية في العطاء لا في صفته فإن القسمة لا تقتضي التسوية من كل وجه، ودليل ذلك قول عطاء: «ما كانوا يقتسمون إلا على كتاب الله تعالى». وهذا خبر عن جميعهم.

٤- يرد على حديث ابن عباس رضي الله عنهما بالآتي:

أ- من جهة السند: الحديث مرسل والمرسل قسم من أقسام الضعيف.

ب- من جهة المتن: يحمل على التسوية في العطاء لا في صفته.

الرأي الراجح: ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول، وهذا ما أيده علامة القصيم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: «واختلف العلماء هل التعديل أن يعطى الذكر والأنثى سواء، فإذا أعطي الذكر مائة أعطى الأنثى مائة، أم أن التعديل أن يعطيهم كما أعطاهم الله عز وجل في الميراث، يعني للذكر مثل حظ الأنثيين فإذا أعطي الذكر مائة أعطى الأنثى خمسين، وهذا القول هو الراجح لأنه لا قسمة أعدل من قسمة الله عز وجل». (شرح رياض الصالحين ٣٨/٤).

٣- حكم تخصيص بعضهم لمعنى يقتضي تخصيصه:

مثل اختصاصه بحاجة أو زمانة أو عمى أو كثرة عائلة أو اشتغاله بالعلم أو نحوه من الفضائل، أو صرف عطيته عن بعض ولده لفسقه أو بدعته أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول وأدلته

١- جواز ذلك، وقد روى عن أحمد ما يدل عليه لقوله في تخصيص بعضهم بالوقف لا بأس به إذا كان لحاجة وأكرهه إذا كان على سبيل الأثرة والأعطية في معناه.

٢- لأن بعضهم اختص بمعنى يقتضي العطية فجاز أن يختص بها كما لو اختص القرابة.

٣- حديث بشير قضية في عين لا عموم لها.

الرأي الثاني وأدلته

المنع من التفضيل والتخصيص وذلك للآتي:

١- لكون النبي ﷺ لم يستفصل بشيرًا في عطيته.

ويرد على ذلك بأن ترك النبي ﷺ الاستفصال يجوز أن يكون لعلمه بالحال، وقد اعترض على ذلك بأنه لو علم بالحال لما قال: لك ولد غيره؟

ويُرد عليه بأنه يحتمل أن يكون السؤال هذا لبيان العلة كما قال عليه السلام للذي سأله عن بيع الرطب بالتمر، "أينقص الرطب إذا يبس ؟" قال: نعم. قال: "فلا إذًا"(١). وقد علم أن الرطب ينقص لكن نبه السائل بهذا على علة المنع عن البيع كذا هاهنا.

الرأي الراجح

هو الرأي الأول، وهذا ما رجحه العلامة ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: «وهنا مسألة وهي أن بعض الناس يزوج أولاده الكبار، وله أولاد صغار فيوصي لهم بعد موته بمقدار المهر، وهذا حرام ولا يحل ؛ لأن هؤلاء إنما أعطيته لحاجتهم حاجة لا يماثلهم إخوانهم الصغار، فلا يحل لك أن توصي لهم بشيء، وإذا أوصى فالوصية باطلة ترد في التركة ويرثونها على قدر ميراثهم، كذلك أيضًا بعض الناس يكون ولده يشتغل معه: في تجارته، في فلاحته، فيعطيه زيادة على إخوانه، وهذا أيضًا لا يجوز ؛ لأن الولد إن كان قد تبرع بعمله مع أبيه فهذا بر، وثوابه في الآخرة أعظم من ثوابه في الدنيا، وإن كان لا يريد ذلك: يريد أن يشتغل لأبيه بأجرة، فليفرض له أجرة، مثلاً للأكل شهر كذا وكذا، كما يعطى الأجنبي أو

يقول: لك سهم من الربح، وأما أن يخصه من بين أولاده مع أن الولد قد تبرع بعمله وجعل ذلك من البر فلا يجوز له ذلك، وإن أعطى أحدهم لكونه طالب علم يحفظ القرآن، فإن قال للآخرين: من طلب منكم العلم أعطيته مثل أخيه، أو من حفظ القرآن أعطيته مثل أخيه، فطلب بعضهم وترك بعض، فهؤلاء هم الذين تركوا الأمر بأنفسهم فلا حق لهم، وأما إذا كان خص هذا دون أن يفتح الباب لإخوانه، فهذا لا يجوز»(٢).

٤- حكم التسوية بين سائر الأقارب:

اختلف الفقهاء في حكم التسوية بين سائر الأقارب على رأيين:

الرأي الأول: قال أبو الخطاب: المشروع في عطية الأولاد وسائر الأقارب أن يعطيهم على قدر ميراثهم، فإن خالف وفعل فعليه أن يرجع ويعمهم بالنحلة.

الدليل على ذلك: لأنهم في معنى الأولاد فثبت فيهم مثل حكمهم.

الرأي الثاني: ليس عليه التسوية بين سائر أقاربه ولا إعطاؤهم على قدر مواريثهم سواء كانوا من جهة واحدة كإخوة وأخوات وأعمام وبني عم أو من جهات كبنات وأخوات وغيرهم.

الدليل على ذلك

١- لأنها عطية لغير الأولاد في صحته فلم تجب عليه التسوية كما لو كانوا غير وارثين.

٢- الأصل إباحة تصرف الإنسان في ماله كيف شاء.

٣- إنما وجبت التسوية بين الأولاد بالخبر وليس غيرهم في معناهم لأنهم استووا في وجوب بر والدهم فاستووا في عطيته، وبهذا علل النبي ﷺ حين قال: أيسرك أن يستووا في برك ؟ قال: نعم. قال: فسو بينهم. ولم يوجد هذا في غيرهم.

٤- لأن للوالد الرجوع فيما أعطى ولده فيمكنه أن يسوي بينهم باسترجاع ما أعطاه لبعضهم ولا يمكن ذلك في غيرهم.

٥- لأن الأولاد لشدة محبة الوالد لهم وصرفه ماله إليهم عادة يتنافسون في ذلك ويشتد عليهم تفضيل بعضهم ولا يساويهم في ذلك غيرهم فلا يصح قياسه عليهم ولا نص في غيرهم.

٦- لأن النبي ﷺ قد علِمَ لبشير زَوْجة ولم يأمره بإعطائها شيئًا حين أمره بالتسوية بين أولاده ولم يسأله هل لك وارث غير ولدك؟

الرأي الراجح: ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني من عدم التسوية بين سائر الأقارب، وذلك إذا كانت النية لم تتجه إلى حرمانهم من الميراث مطلقًا كأن يعطي أولاده هبات كبيرة فيخرج ثروته عن ملكه بغرض حرمان زوجته أو أمه من حقهما في الميراث بعد موته لعدم وجود ما يرثنه.

٥- الأم في المنع من المفاضلة بين الأولاد كالأب.

الدليل على ذلك: قوله ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»(٣).

٦- ولقوله ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم». [صحيح](٤).

٧- لأنها أحد الوالدين فمنعت من التفضيل كالأب.

٨- لأن ما يحصل بتخصيص الأب بعض ولده من الحسد والعداة يوجد مثله في تخصيص الأم بعض ولدها فثبت لها مثله... في ذلك.

خامسًا: ما الحكم فيما لو قسم الشخص ماله بين أولاده على سبيل الميراث حال حياته ثم وُجِدَ ورثة آخرون بعد وفاته لم يبق لهم مال يستحقونه؟

للإجابة عن ذلك نعرض فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية ردًا على سؤال مفاده: «رجل له بنتان ومطلقة حامل، وكتب لابنتيه ألفي دينار وأربع أملاك، ثم بعد ذلك ولد للمطلقة ولد ذكر، ولم يكتب له شيئًا، ثم بعد ذلك توفي الوالد وخلف موجودًا خارجًا عما كتبه لبنتيه، وقسم الموجود بينهم على حكم الفريضة الشرعية، فهل يفسخ ما كتب للبنات أم لا ؟»

فأجاب رحمه الله: هذه المسألة فيها نزاع بين أهل العلم، إن كان قد ملك البنات تمليكًا تامًا مقبوضًا، فإما أن يكون كتب لهن في ذمته ألفي دينار من غير إقباض، أو أعطاهن شيئًا ولم يقبض لهن، فهذا العقد مفسوخ، ويقسم الجميع بين الذكر والأنثيين، وأما مع حصول القبض، ففيه نزع، وقد روى أن سعد بن عبادة قسم ماله بين أولاده، فلما مات ولد له حمل، فأمر أبو بكر وعمر أن يعطى الحمل نصيبه من الميراث، فلهذا ينبغي أن يفعل بهذا كذلك، فإن النبي ﷺ قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم». وقال: «إني لا أشهد على جور» لمن أراد تخصيص بعض أولاده بالعطية، وعلى البنات أن يتقين الله ويعطين الابن حقه(٥).

الهوامش

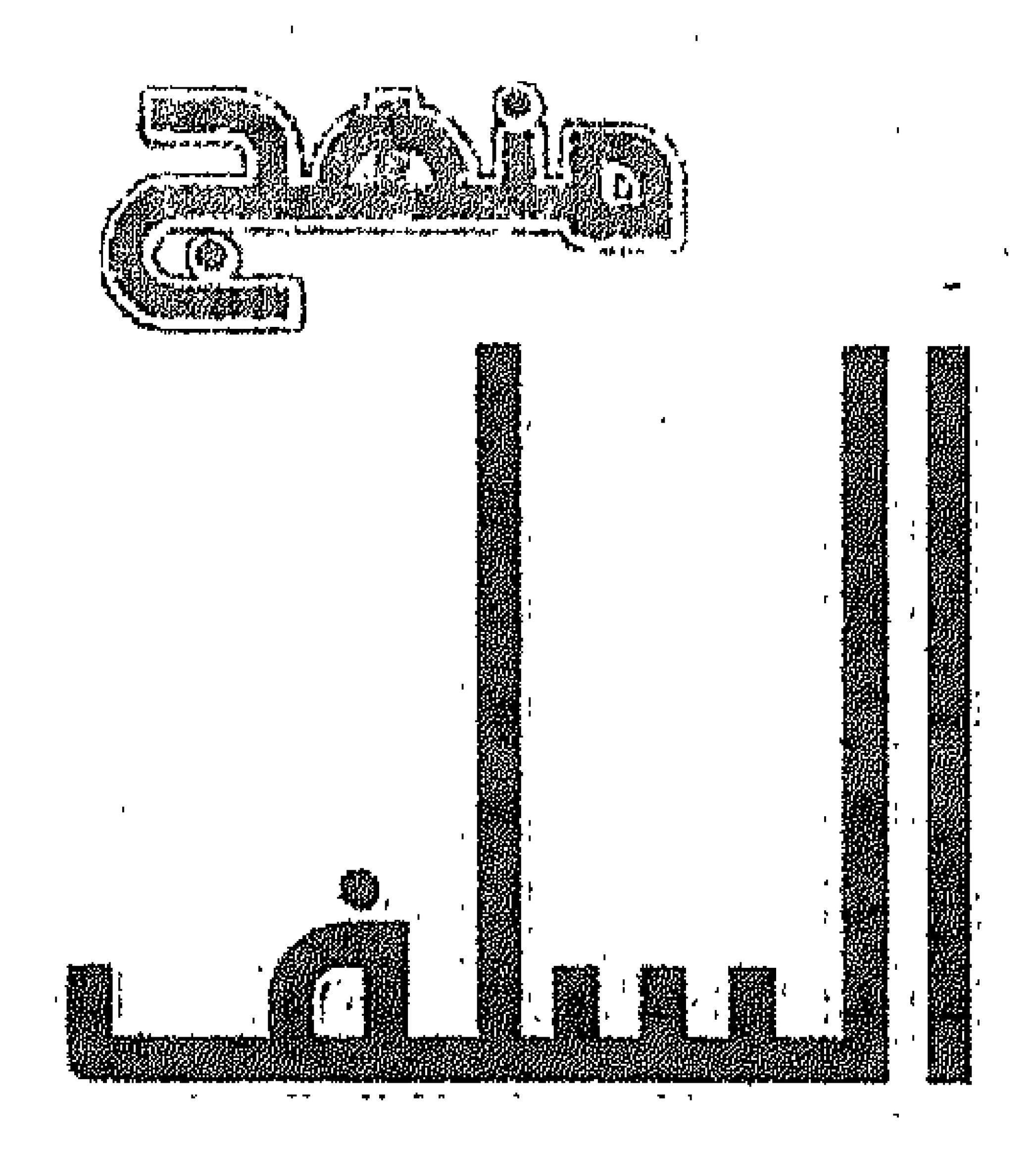
١- ضعيف: أخرجه البيهقي في السنن (١٧٧/٦)، وفيه: سعيد بن يوسف متفق على ضعفه، وذكره صاحب كنز العمال (٤٥٣٦٠) بلفظه وقال: مرسل، وعزاه إلى ابن عساكر وهو من طريق الأوزاعي قال: حدثني يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله ﷺ ... وذكره وإسناده معضل. فالحديث ضعيف، والله أعلم.

٢- صحيح: أخرجه أبو داود (٣/ح٣٣٥٩)، والترمذي (٣/ح١٢٢٥)، والنسائي (٧/ح٤٥٥٩)، وابن ماجه (٢/ح٢٢٦٤)، والإمام مالك في الموطأ (٢/٦٢٤/ح٢٢)، وإسناده صحيح، انظر الإرواء (١٣٥٢).

٣- شرح رياض الصالحين (٣٠١/٤).

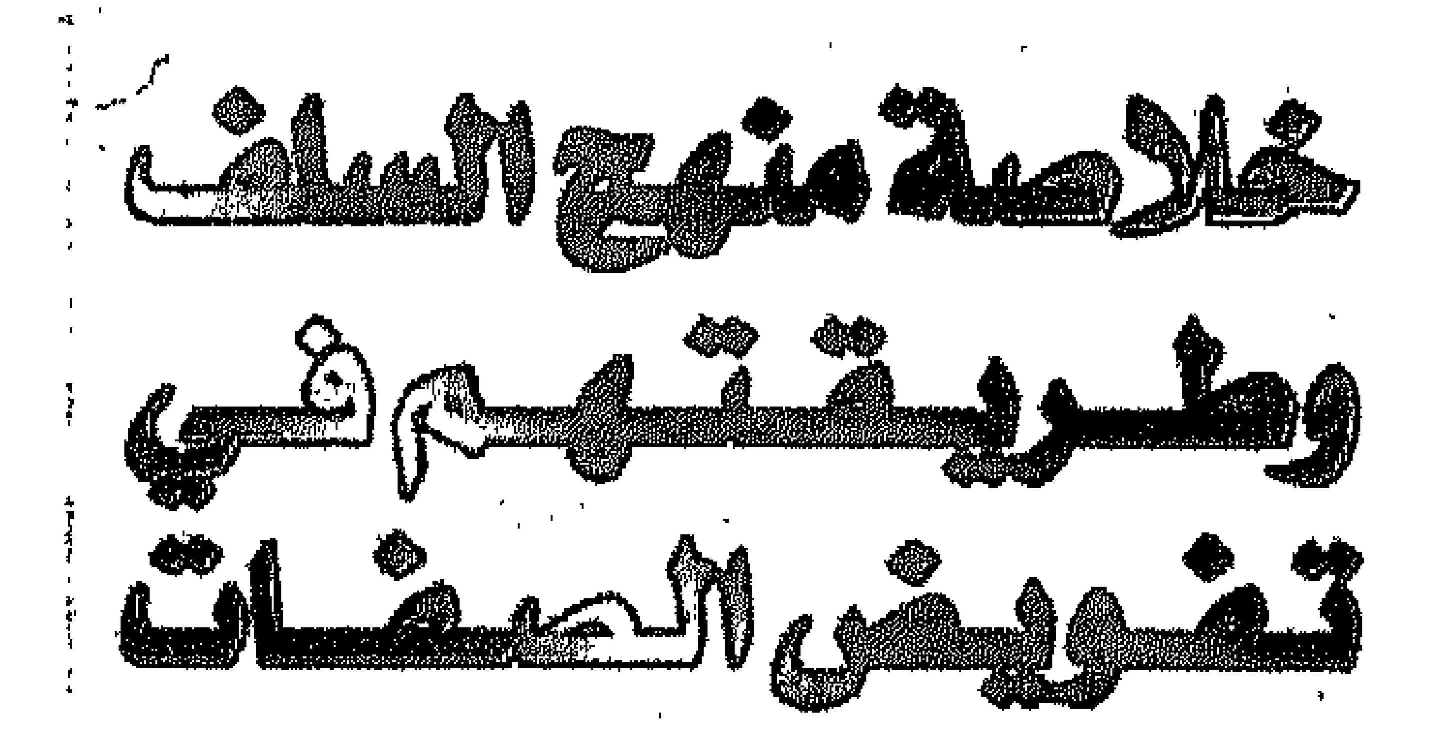
٤- صحيح: أخرجه الترمذي (١١٣)، وابن ماجه (٦١٢)، وأصل القصة في الصحيحين وغيرهما عن أم سلمة رضي الله عنهما.

٥- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (١٦/٣١، ١٥٥).



في تفويض الصفات

الحلقة التاسعة والعشرون



تفويض الصفات

إعداد /
محمد عبدالعليم الدسوقي

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

نواصل بعون الله تعالى الكلام حول منهج السلف الصالح في تفويض الصفات، فنقول:

بعد ذكره لصفات المجيء واليمين والنفس والإتيان واليدين والاستحياء والدنو والتجلي والوجه والقدم والقهر وغير ذلك مما ذكر الله في كتابه، وما ذكره رسوله ﷺ من أخباره مثل قوله: (خلق الله جنة عدن بيده وغرس شجرة طوبى بيده وكتب التوراة بيده)، و(ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا)، وغيرة الله تعالى وفرحته بتوبة عبده، واحتجابه برداء الكبرياء، (وكلتا يديه يمين) وحديث القبضة والحثيات، وله كل يوم كذا نظرة إلى اللوح المحفوظ وإلى قلب المؤمن، وغير ذلك مما صح عنه وثبت.. يقول صاحب الحجة في بيان المحجة: «على العبد أن يؤمن بجميع ذلك ولا يؤوله تأويل المخالفين ولا يمثله تمثيل الممثلين ولا يزيد فيه ولا ينقص عنه، ولا يفسر منه إلا ما فسره السلف ويمره على ما أمروا ويقف حيث وقفوا، لا يقول كيف؟ ولم؟ يقبل ما قبلوه ولا يتصرف فيه تصرف المعتزلة والجهمية، هذا مذهب أهل السنة وما وراء ذلك بدعة وفتنة».

(الحجة: ٢/٤٧٠ مجلد ١).

قال القرطبي في المفهم فيما نقله عنه الإمام ابن حجر: «ثم إن هؤلاء- يعني المتكلمين وأصحاب الأهواء- قد ارتكبوا أنواعاً من المحال لا يرتضيها البله ولا الأطفال لما بحثوا عن تحيز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالى وتعديدها واتحادها في نفسه وهل هي من الذات أو غيرها؟ وفي الكلام هل هو متحد أو منقسم؟ وعلى الثاني هل ينقسم بالنوع أو الوصف؟ وكيف تعلق في الأول بالمأمور مع كونه حادثاً؟ ثم إذا انعدم المأمور هل يبقى التعلق؟ وهل الأمر لزيد بالصلاة مثلاً هو نفس الأمر لعمرو بالزكاة؟ إلى غير ذلك مما ابتدعوه مما لم يأذن به الشرع وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم، بل نهوا عن الخوض فيها لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لم تُعلم كيفيته بالعقل لكون العقول لها حد تقف عنده، ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات.

يقول: ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها وعن كيفية إدراك ما يدرك به، فهو عن إدراك غيره أعجز، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات، منزه عن الشبيه مقدس عن النظير متصف بصفات الكمال، ثم متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه كما هو طريق السلف، وما عداه لا يأمن صاحبه الزلل ويكفي في الردع عن الخوض في طريق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس والشافعي.

وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلالاً.. قال: وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك وببعضهم إلى الإلحاد وببعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع وتطلبهم حقائق الأمور من غيره، وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحكم التي استأثر بها، وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال: «ركبت البحر الأعظم وغصت في كل شيء نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فراراً من التقليد، والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف».. وعنه أنه قال عند موته: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغت ما تشاغلت به». (فتح الباري ١٣/٢٩٨، ٢٩٩ عن المفهم للقرطبي، وينظر هامش كتاب التوحيد لابن منده ١/٧٦، ٧٧).

وما مثل من عمد إلى مخالفة ما كان عليه السلف فراح يلجأ إلى الخوض في الجوهر والعرض ويتوسع في صفات السلب ويمدح الله جل وعلا بأنه ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا بذي حرارة ولا رطوبة ولا يبوسه ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا.. ولا.. إلخ، وكذا من راح يفعل ذلك في بعض صفاته كمن جعل يصف استواءه على العرش بأنه ليس تحته ولا فوقه ولا.. ولا.. إلى آخر ما التجأ إليه أهل الكلام من المعتزلة ومتأخرو الأشاعرة من الخلف من التفصيل في النفي.. إلا كمثل من راح يمدح أميراً له من الشأن العظيم ما له، فطفق يشيد به ويمدحه بأنه ليس بزبال ولا كناس ولا متسول ولا خادم ولا

قصاب ولا ساعي بريد وما كان في يوم ما بائعاً متجولاً.. إلخ، وقد كان يكفيه - وذلك من دون شك أفضل- أن يقول عنه مثلاً بأنه ليس له نظير فيما رأت عيناي ومثله لا يبخل، ولن يجود الزمان بمثله، كما كان يكفي من وصف الله بما ذكرنا - وله المثل الأعلى - أن يقول في مدحه تعالى ما قاله عن نفسه بأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، إذ نفي صفات النقص التي ذكروها هي عين النقص، لأنه يلزم من قولهم عنه جل جلاله بأنه مثلاً ليس بجسم أن يتساءل العقلاء ماذا يمكن يا ترى أن يكون إذا لم يكن جسماً هل يكون عرضاً؟ قالوا ولا عرضاً، قالوا فماذا يمكن يا ترى أن يكون إذا لم يكن كذلك هل يكون شبحاً؟.. وهكذا، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل نتج ما نفوه عن الله بطريقتهم تلك وبالتجائهم لهذا النفي المفصل إلا كلاماً فارغاً في الحقيقة من كل مدح، فضلاً عن مخالفتهم لما استقر عليه السلف الصالح من أمر الكف - حسب ما دلت عليه الآيات من نحو قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]

عن طلب كيفية الحقائق الغيبية ولا سيما التي تتعلق بذات الله وصفاته، لكون ذلك - ببساطة شديدة- فوق طاقة البشر وقدراتهم؟.

وللصنعاني في (إيثار الحق على الخلق) ص٢٩١قوله: «لا يشك منصف أن الاقتداء بالسلف أرجح، فإن نفاة الصفات- الذين استحدثوا مصطلحات الفلاسفة من نحو الجوهر والعرض- ألزموا المثبتين تركيب الذات وما يتركب عليه، بل ألزموهم ذلك في مجرد قولهم: إن الوجود غير الموجود.. ومَن أثبتَ الصفات ألزم النفاة تعطيل الأسماء الحسنى ومخالفة الإجماع، فلزم التمسك بما اعترفوا بأن السلف كانوا مجتمعين عليه- سلفهم وسلف سائر فرق الإسلام- كما لزم ترك ما اختلفوا فيه، ويسعنا ما وسعهم».

تلك هي أهم الأسس والقواعد التي بنى عليها سلفنا الصالح عقيدتهم ومنهجهم في جانب التفويض المقتصر على الكيف، وما أطلعونا عليه وأخبرونا به في حظ المسلم فيما يجب علمه من صفات الباري سبحانه.. وهي الطريقة المثلى الوحيدة التي ارتضاها الله لعباده والمقبولة لديه تعالى، وهي إلى جانب ذلك، الطريقة المجمع عليها من قِبل سلف هذه الأمة، لكونها بلا إفراط ولا تفريط المتوسطة بين التعطيل والتمثيل، وواسطة العقد بين النفي والتشبيه.

يقول صاحب الحجة في معتقد أهل السنة عن آيات وأحاديث الصفات: «يجب الإيمان بصفات الله تعالى كقوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [النور: ٩]، وقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.. [المائدة: ١١٩، المجادلة: ٢٢، البينة: ١٨]،

وقول النبي ﷺ: (ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا)، الذي رواه ثلاثة وعشرون من الصحابة- سبعة عشر رجلاً وست نساء، وكقوله: (ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن)، فهذا وأمثاله مما صح نقله عن رسول الله ﷺ، فإن مذهبنا فيه ومذهب السلف إثباته وإجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية والتشبيه عنه، وقد نفى قوم الصفات فأبطلوا ما أثبته الله لنفسه، وتأولها قوم على خلاف الظاهر فخرجوا من ذلك إلى ضرب من التعطيل والتشبيه، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، لأن دين الله تعالى بين الغالي والمقصر عنه.

والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الله إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، وكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فإذا قلنا يد وسمع وبصر ونحوها فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولم يُقل معنى اليد القدرة ولا معنى السمع والبصر العلم والإدراك، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار، ونقول إنما وجب إثباتها لأن الشرع ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ..﴾ [الشورى: ١١]،

كذلك قال علماء السلف في أخبار الصفات:) أمروها كما جاءت)، وهذا من كمال فهمهم حيث إن تفسير الكيفية متوقف على حقيقة الذات وكيفيتها، فإذا كانت الذات مجهولة الكيف والحقيقة فالجهل بصفات تلك الذات من باب أولى، ومن ثم تردد على الألسنة أن القول في الذات كالقول في الصفات، وأقوال السلف في هذا الباب - على ما أوضحنا - أكثر من أن تحصى، وكلها تفرق بين تفويض المعنى وتفويض الكيفية، فالمعنى تثبته والكيفية تفوضه.

فإن قيل فكيف يصح الإيمان بما لا يحيط علمنا بحقيقته؟ أو كيف يُتعاطى في وصف شيء لا درك له في عقولنا؟ فالجواب: أن إيماننا صحيح بحق ما كُلفنا منها، وعلمنا محيط بالأمر الذي ألزمناه فيها وإن لم نعرف لما تحتها حقيقة كافية، كما قد أمرنا أن نؤمن بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة ونعيمها والنار وألم عذابها، ومعلوم أنا لا نحيط علماً بكل شيء منها على التفصيل، وإنما كلفنا الإيمان بها جملة واحدة، ألا ترى أنا لا نعرف أسماء عدة من الأنبياء وكثير من الملائكة، ولا يمكننا أن نحصي عددهم ولا أن نحيط بصفاتهم ولا نعلم خواص معانيهم، ثم لم يكن ذلك قادحاً في إيماننا بما أمرنا أن نؤمن به من أمرهم، وقد قال النبي ﷺ في وصف الجنة: (يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

[الحجة للأصبهاني ٢٨٨/١، وينظر الحموية (ص٣٤- ٣٥).].

وهذا الذي ذكره الأصبهاني ذكره أبو سليمان الخطابي والحافظ أبو بكر الخطيب وأبو بكر الإسماعيلي والإمام السجزي وأبو إسماعيل الهروي وأبو عثمان الصابوني وابن عبد البر إمام المغرب وغيرهم مما لا يحصى عددهم.

هكذا أبان الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان للناس أمر دينهم وأعذروا إلى ربهم، وما على مريد الحق ومبتغي طريق الله المستقيم، إلا أن ينهج نهجهم في اتباع الآية والحديث وأن يقتفي في ذلك أثرهم.

وللحديث بقية بإذن الله.

واجب الأمة نحو علمائها

الحمد لله رافع أهل العلم درجات، والمفضّل ذوي العلم في الحياة والممات، وأصلي وأسلم على سيد الدعاة وإمام الأنبياء وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته واهتدى بهداه، أما بعد:

فالعلم منةٌ يمنّ الله به على من شاء من عباده، قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢]، وقال تعالى عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤]، وقال تعالى عن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]، فخصّ العلمَ بالذكر مع أنه آتاهما مالاً وملكًا، ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ذكر سبحانه أنهما قالا: «الحمد لله» لاعتقادهما أنّهما بالعلم فُضِّلا على كثير من عباده المؤمنين، وامتن سبحانه على نبينا محمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، فمن أورثه الله علمَ الكتاب والسنة فقد اصطفاه، قال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين».

إعداد/
عبده أحمد الأقرع

إذن فالعلماء وارثوا علم النبوة، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وهم مثالُ الاستقامة، بالعلم عاملون، وعلى الحق سائرون، يهدون بالحق وبه يعدلون، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، بهم يُهتدى ويُقتدى، وعلى خطاهم تعيش الأمم على هدى وبصيرة من أمرها بعيدًا عن البدع والخرافات ودروب الجهل والضلال، استشهد الله بهم دون غيرهم من البشر على أجل مشهودٍ به وأعظمه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وأخبر سبحانه أنهم أهل خشيته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وأمر سبحانه رسوله ﷺ أن يستشهد بهم على رسالته ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]، واستشهد بهم سبحانه على صحة ما أنزل على رسوله ﷺ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٨٤]، وجعل سبحانه كتابه آيات بينات في صدورهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩]، ونفى سبحانه التسوية بين العالمين والجاهلين فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]،

العلماء وارثوا علم النبوة، وهم مثال الاستقامة، بالعلم عاملون، وعلى الحق سائرون؛ بهم يهتدى ويقتدى، وعلى خطاهم تعيش الأمم على هدى وبصيرة من أمرها، بعيداً عن البدع والخرافات

وأمر تعالى نبيه ﷺ أن يكتفي بشهادة أهل العلم ولا يعبأ بالجاهلين، فقال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ [الإسراء: ١٠٦– ١٠٨]،

وأخبر سبحانه عن رفعة درجات أهل العلم، فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما خصّ اللهُ العلماء في شيء من القرآن ما خصّهم في هذه الآية، فضّلَ اللهُ الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم». [الدر المنثور: ٣/٨٣].

ودعا الله الناس إلى سؤالهم فيما يجدُ من مسائلَ وقضايا فإجابتُهم تزيل الشبهات، قال الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]،

وأخبر سبحانه أنهم المنتفعون بضرب الأمثال، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، لذا كان بعضُ السلف إذا مَرَّ بمثلٍ لا يفهمه يبكي ويقول: لست من العالمين.

وأخبر سبحانه أنَّ العلماءَ سيشهدون للأنبياء على أُممهم يومَ القيامة، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والخطابُ وإن كان للأمَّة إلاَّ أنه من العامِّ المخصوص، لأنَّ الجاهلَ شهادتُهُ مردودة، ولذلك قال الإمام البخاري - رحمه الله في صحيحه: (باب «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» وما أمر النبيُّ ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم، وقد مدح رسول الله ﷺ أهل العلم، فقال عليه الصلاة والسلام: «وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر». [متفق عليه].

وقد وصى رسول الله ﷺ باغتنام حياة العلماء، وأخذ العلم عنهم قبل أن يموتوا، فقال ﷺ: «إنَّ الله لا يقبضُ العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً، فسُئلوا، فافتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا». [متفق عليه].

وقد قيل لسعيد بن جبير: ما علامةُ هلاكِ الناس؟ قال: إذا هلك علماؤها. ومع هذا الثناء من الله ورسوله ﷺ وسلم على أُولي العلم - فإنهم لم يسلموا من أقوامٍ يحطُّون من أقدارهم ويجترئون على مقامهم، وينزعُون من مهابتهم، يطعنون في أعمالهم وجهودهم، ويشككون في قدراتهم وكفاءاتهم، ويبلبلون على العامة، يوزعون الاتهامات، ويتبعون المعايب، والأشدُّ من ذلك والأنكى اتهام النيات، والحكمُ على المقاصد، والتطاول على السرائر التي لا يعلمها إلا الله، ولا شك أن هذا ضرر على الدين، فالطعن في العلماء ليس طعنًا في شخوصهم، إنما هو طعن في العلم الذي يحملونه، وبالتالي طعن في الإسلام.

احذروا التطاول على مناهج الأئمة، وعلماء الأمة، أو التهوين من فقه السلف، ومن ظفر بخطأ عالم فلا يفرح، ولا يتبع العثرات

فاحذروا - إخواني - كل الحذر من التطاول على علماء الأمة، فالتجريحُ بغير حقّ لا يجوز، ورفضُ الدليل محرمٌ لا يسوغ، والمنهجُ الحقُّ الأخذُ بالدليل مع وافر الحرمة والتقدير لأئمة العلم والدِّين، ومن كانت له نادرة ينبغي أن تدفن في بحر علمه، وتُنسى في جانب عظيم فضله، فالعصمةُ غير مضمونة لأي عالمٍ، ولكن المضمون لهم - إن شاء اللهُ - الأجرُ على اجتهادهم - أصابوا أم أخطئوا.

قال الحافظ الذهبيّ - رحمه الله-: لو أنّا كلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهادٍ في آحاد المسائل خطأً مغفورًا له، قمنا عليه، وبدَّعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابنُ نصرٍ ولا ابن منده، ولا من هو أكبرُ منهما، واللهُ هو هادي الخلقِ إلى الحقِّ، وهو أرحمُ الراحمين، ونعوذ بالله من الهوى والفظاظة. اهـ.

احذروا التطاولَ على مناهج الأئمة، وعلماء الأمة، أو التهوينَ من فقه السلف، ومن ظَفِر بخطأ عالمٍ فلا يفرح، ولا يتبعْ العثراتِ، ولكن ليصحِّح الخطأ، وليتبينه إلى الصواب يحيطُ ذلك سياجٌ من الخلق الفاضل، في لسانٍ عفيف، ونظرٍ متورع، وقبل ذلك وبعدَه هو بحاجة إلى إخلاص القصدِ لله وحده، وليحذر التشهير والتشنيع، وألا يظنَّ بهم إلا خيرًا: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، وبخاصةٍ أولئك الأعلامُ الذين يُعَلِّمُونَ الناسَ الخير، يجبُ على الأمةِ أن تحفظ حقوقَهم، وتعرفَ مكانتَهم، وتَقْدُرَهم حقَّ قدرهم، وتلتزمَ الأدبَ معهم، إنهم العلماءُ وارثوا علم النبوة خلفاءُ النبيِّ ﷺ في أمته، المحيون لما ماتَ من سُنته، فمعلم الناس الخير يصلي عليه الله وملائكته ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف البحر، والنملة في جحرها، فعليكم - إخواني - بتبجيل العلماء أهل الفضل والإيمان، قال الإمام الطحاويُّ - رحمه الله-: «وعلماءُ السَّلفِ من السابقينَ ومن بعدهم من التابعين أهلُ الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذْكَرون إلا بالجميل، ومَن ذَكَرَهُم بسوءٍ فهو على غير السبيل».

[الطحاوية ص٥٨ بتعليق شيخنا الألباني - رحمه الله].

وقال الحافظ ابن عساكر: "اعلم وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حقَّ تُقاته أنَّ لحُومَ العُلماءِ مَسْمومة، وعادةُ الله في الانتقام من مُنْتَقِصِيهم معلومة، ومن أطلقَ لسانه في العلماءِ بالثَّلبِ ابتلاهُ اللهُ قبلَ موتهِ بموت القلب".

[مقدمة المجموع شرح المهذب ١/٢٤].

ومن قبلُ قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «من آذى فقيهًا فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله عز وجل».

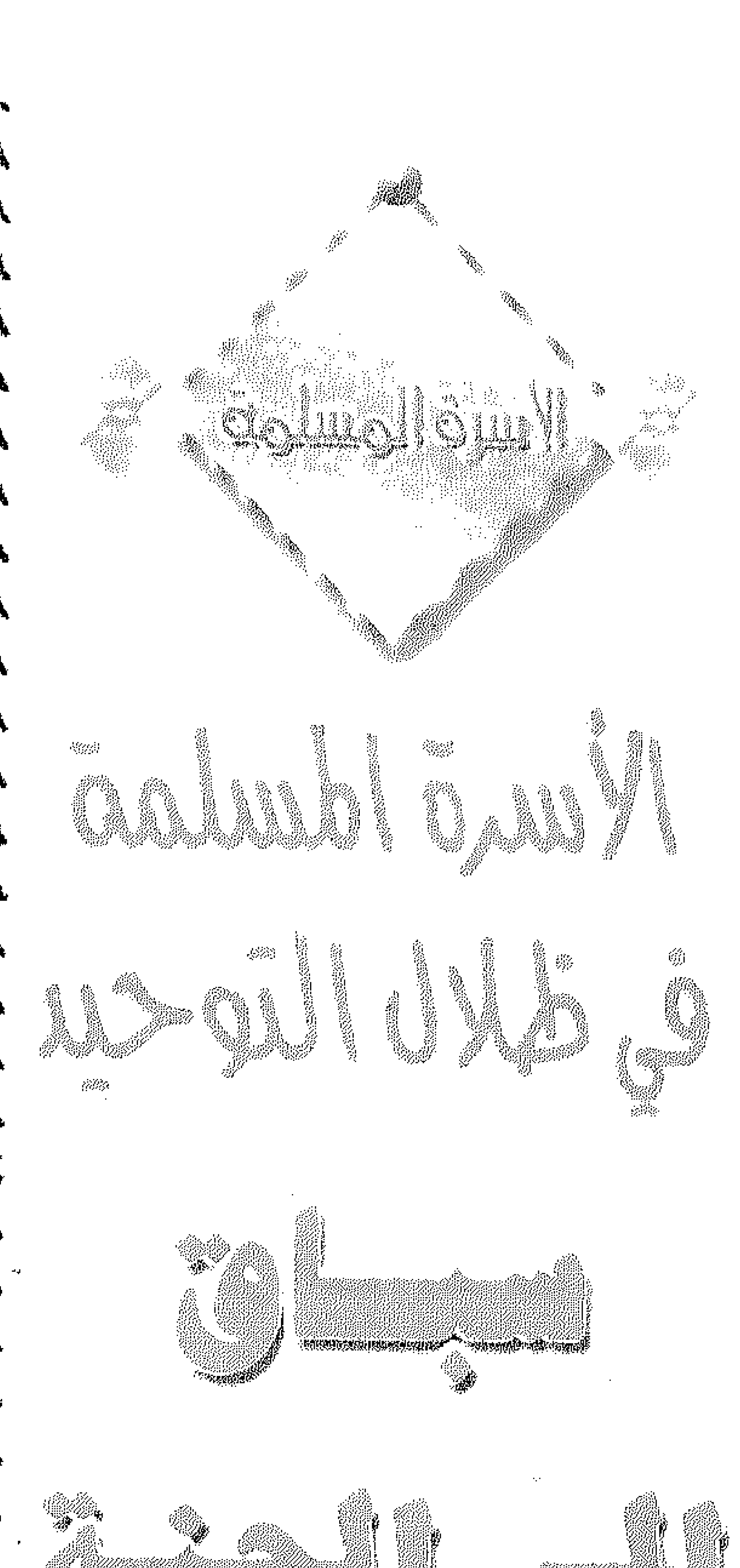
فيا إخواني: العلماءَ أنزلُوهم منازلهم وأجلّوهم واحترموهم، قال ﷺ: «ليس منَّا من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».

[صحيح الجامع ٥٣١٩، ٥٤٤٣].

ومن وصايا لقمان: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإنَّ الله يُحيي القلوبَ بنورِ الحكمة، كما يُحيي الأرض بوابلِ المطر». ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[الحشر: ١٠].

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.



إعداد / جمال عبدالرحمن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى الذي دعانا إلى توحيده والتسليم له؛ جعل جزاء ذلك الجنة، فقال عز من قائل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

أي: أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا معبود واحد لا ثاني له ولا شريك، فمن يخاف ربه يوم لقائه ويراقبه على معاصيه ويرجو ثوابه على طاعته فليخلص له العبادة وليفرد له الربوبية، ولا يجعل له شريكًا في عبادته إياه، فلا يرائي بعمله أحدًا لأن العمل ينبغي أن يكون لله وحده.

وقد سأل رجل عُبادة بن الصامت رضي الله عنه فقال: أنبئني عما أسألك عنه ؛ أرأيتَ رجلاً يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يُحمد، ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يُحمد ؟ فقال عُبادة: ليس له شيء ؛ إن الله عز وجل يقول: أنا خير شريك، فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه.

قال الإمام أحمد رحمه الله: عن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا: يا رسول الله ؛ وما الشرك الأصغر ؟ قال: «الرياء، إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تُجازَى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً».

فالعبودية تذلل وافتقار لمن له الحكم والاختيار، والعباد مأمورون بالتذلل لله تعالى والإخلاص في ذلك، وتصفية الأعمال من شوائب الرياء وغيره حتى يصلوا آمنين إلى جنة الخلد، وثواب الرب الجليل.

سباق ومسارعة ومنافسة

يقول ربنا الباري جل جلاله: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، ويقول عز من قائل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وعن النعيم الذي أعده جل ثناؤه في الجنة يقول: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، يعني يجدُّ الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم.

وأشار سبحانه إلى الفوز العظيم في جنة النعيم بقوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، هذا الرب الخالق

للأشياء المالك لها، المتصرف فيها، القادر عليها، والجميع ملكه وتحت قهره وقدرته ومشيئته، وهو مالك يوم الجزاء، يُحل الصالحين من عباده دار المقامة من فضله لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، أي لا عناء ولا إعياء على الأبدان أو الأرواح.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل ؟ قال: هذه الجمعة، يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدًا ولقومك من بعدك، تكون أنت الأول، وتكون اليهود والنصارى من بعدك، قال: ما لنا فيها ؟ قال: فيها خير لكم، فيها ساعة مَنْ دعا ربه فيها بخير هو له قَسْم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقَسْم إلا ادُّخِر له ما هو أعظم منه، أو تعوَّذ فيها من شر هو عليه مكتوب إلا أعاذه، أو ليس عليه مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه، قلت: ما هذه النكة السوداء فيها ؟ قال: هذه الساعة ؛ تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد، قال: قلت: لِمَ تدعونه يوم المزيد ؟ قال: إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه، ثم حف الكرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها، ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول: أنا الذي صَدَقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، هذا محل كرامتي فسلوني، فيسألونه الرضا، فيقول الله عز وجل: رضائي أَحَلَّكُمْ داري، وأنالكم كرامتي، فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة، ثم يصعد الرب على كرسيه فيصعد معه الشهداء والصديقون، أحسبه قال: ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم، أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء منها غرفها، وأبوابها مطردة (كثيرة) فيها أنهارها، متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى كل شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة، وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه تبارك وتعالى، ولذلك دُعي يوم المزيد». [رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي وأبو يعلى مختصرًا، ورواته رواة الصحيح، والبزار واللفظ له، انظر صحيح الترغيب والترهيب، وقال الشيخ الألباني: حسن لغيره.].

تقريب الطريق إلى الجنة

١- ببذل الروح في سبيل الله:

هذا أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما لم يشهد بدرًا مع النبي ﷺ، فقال حزينًا: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غُيبتُ عنه، لإن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، فشهد يوم أُحد، فاستقبل المشركين وهو يقول: واهًا لريح الجنة (يحن ويشتاق لريحها)، فقاتل المشركين حتى قُتل فوُجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، حتى إن أصحابه لم يعرفوه إلا ببنانه الذي عرفته به أخته، وكانوا يرون أن قول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]، نزلت فيه وفي أصحابه. [مسلم بتصرف].

ومثله عمرو بن الجموح الذي كان أعرج شديد العرج أراد أن يغزو في أُحُد فمنعه بنوه، فاشتكى لرسول الله ﷺ وقال: إني لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فأذن له النبي ﷺ فقاتل فقُتل يوم أُحد شهيدًا، رضيَ الله عنه. [سنن البيهقي، بتصرف].

وأيضًا عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه، لما سمع رسول الله ﷺ يوم بدر يقول: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، كان معه تمرات يريد أن يأكلها، فألقاها وقال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه ؛ إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قُتل».

[مسلم بتصرف].

٢- بالتوبة النصوح:

في صحيح مسلم أن ماعزًا الأسلمي لما زنى وكان محصنًا جاء إلى النبي ﷺ تائبًا يطلب التطهير من الذنب، فقال: يا رسول الله ؛ إني قد ظلمتُ نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني، فأمر به النبي ﷺ فرُجم. جاء في رواية ابن حبان أن النبي ﷺ لما رجم ماعز بن مالك قال: «لقد رأيته يتخضخض في أنهار الجنة». قال الأرناءوط: رجاله ثقات رجال الشيخين.

ومثله المرأة الغامدية التي زنت ورجمها رسول الله ﷺ ، فسبها خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ : «مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفر له، ثم أمر بها فصَلَّى عليها ثم دفنت».

[مسلم بتصرف].

وصاحب المكس هو صاحب الجباية، وغلب استعماله فيما يأخذه أعوان الظلمة عند البيع والشراء.

٣- بجميع خصال الخير:

جاء أناس يسألون رسول الله ﷺ عن عمل يقربهم من الجنة ويباعدهم من النار فذكر هذه الأعمال على اختلاف السائلين، من هذه الأعمال أن يعبد الله ولا يشرك به شيئًا، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصل الرحم. [مسلم].


وعتق النسمة (أي بمفرده)، وكف الرقبة (أي يعين في عتقها)، والفيء (الصلة) على ذي الرحم الظالم، كفُّ اللسان إلا من خير، ويصوم رمضان ويحج البيت. [الترمذي: صحيح]. (عدم الغضب). [مسند أحمد – صحيح لغيره]. (إفشاء السلام، إطعام الطعام، الصلاة بالليل والناس نيام. [ابن ماجه: صحيح]. (الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، الاستغفار من الذنوب).

امرأة عظيمة سارعت إلى الجنة

عن أم ورقة بنت نوفل أن النبي ﷺ لمَّا غزا بدرًا قالت: قلت له: يا رسول الله ؛ ائذن لي في الغزو معك أُمرِّض مرضاكم لعل الله أن يرزقني شهادة، قال: «قَرِي في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة، فكانت تسمَّى الشهيدة، وكانت قد قرأت القرآن (حفظته)، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنًا فأذن لها، وكانت قد دبرت غلامًا لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغمياها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس، فقال: من كان عنده من هذين علم أو مَنْ رآهما فليجيء بهما، فجيء بهما، فأمر بهما فصُلِبا، فكانا أول مصلوبَيْن بالمدينة».

[سنن أبي داود وحسنه الشيخ الألباني].

فهل يجتهد رب كل أسرة وربة كل بيت أن يأخذوا بأيدي أبنائهم للوقوف على طريق السباق إلى الجنة بالمسارعة في فعل الخيرات؟.



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص ووجدت في كتب السنة وفي كتب الترغيب والترهيب، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة:

أولاً: المتن

رُوِي عن حُمَيْد بن أبي سَوِيَّة قال: سمعت ابن هشام يسأل عَطَاءَ بن أبي رَبَاح عن الركن اليماني وهو يطوف بالبيت، فقال عطاء: حدثني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: وُكِّلَ به سبعون مَلَكًا، فمَن قال اللهم إني أسألُك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا: آمين. فلما بلغ الركن الأسود قال: يا أبا محمد، ما بلغك في هذا الركن الأسود ؟ فقال عطاء: حدثني أبو هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن فَاوَضَهُ فإنما يُفَاوِضُ يَدَ الرحمنِ». قال له ابن هشام: يا أبا محمد فالطوافُ ؟ قال عطاء: حدثني أبو هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من طافَ بالبيت سبعًا ولا يتكلمُ إلا بسبحانَ الله والحمدُ لله، ولا إله إلا الله والله أكبرُ ولا حولَ ولا قوة إلا بالله، مُحِيت عنه عشرُ سيئاتٍ، وكُتبت له عشرُ حسناتٍ، ورُفع له بها عشرُ درجات، ومن طاف فتكلم وهو في تلك الحال، خاض في الرحمةِ برجليه، كخائض الماء برجليه».

ثانيًا: التخريج

حديث هذه القصة أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٢٩٥٧) قال: حدثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا حُميد بن أبي سَوية، قال: سمعت ابن هشام يسأل عطاء بن أبي رباح عن الركن اليماني وهو يطوف بالبيت، قال عطاء... القصة.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٣/٩) (ح٨٣٩٥) قال: حدثنا موسى بن سهل، قال: حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، قال: حدثنا حُميد بن أبي سُويد، قال: سمعت رجلاً يسأل عطاء بن أبي رباح عن الركن اليماني وهو يطوف بالبيت، قال عطاء... القصة.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٧٤/٢) (٤٣٨/٦٩) قال: «حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا ابن عياش به».

ثالثًا: التحقيق

١- بالمقارنة بين رواية ابن ماجه ورواية الطبراني نجد أن:

أ- في رواية ابن ماجه: «حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا حُميد بن أبي سوية».

ب- في رواية الطبراني: «حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا حميد بن أبي سُويد».

فيُخيّل للقارئ أن هناك اختلافًا في السند في مَن روى عنه إسماعيل بن عياش حيث يظن أن حُميد بن أبي سَويَّة، وحميد بن أبي سويد اثنان، ولكنهما بالتحقيق اسمان لراوٍ واحد ؛ حيث قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٥١١/٢٤٦/٥): «حميد بن أبي سُويد، ويقال: ابن سَويَّة، المكي، روى عن عطاء بن أبي رباح، وروى عنه: إسماعيل بن عياش».

٢- وحديث هذه القصة الواهية من حيث وصوله إلينا «غريب»، وتتبين هذه الغرابة من قول الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٣/٩): «لم يَرْوِ هذا الحديث عن عطاء إلا حميدُ بن أبي سويد، تفرد به إسماعيلُ بن عياش». اهـ.

وهذا القول بالتفرد يحسبه البعض هينًا ولكنه عند علماء هذا الفن عظيم، حيث لا ينقاد إلا لإمام جهبذ من جهابذة هذا الفن الدقيق الواسع مثل الإمام الطبراني، فقد تعقب كثيرًا في إخراج كتابه «المعجم الأوسط» حيث ظهر فيه سعة روايته وكثرة اطلاعه على طرق الحديث وتمييز الطرق التي اشترك فيها عدد من الرواة عن هذا الراوي عن الطرق التي انفرد بها بعض الرواة عن بعض، لذلك كان يقول الإمام الطبراني عن كتابه «المعجم الأوسط»: «هذا الكتاب روحي».

٣- ومن قول الإمام الطبراني: «لم يَرْوِ هذا الحديث عن عطاء إلا حُميد بن أبي سُويد تفرد به إسماعيل بن عياش». يستفاد منه أيضًا أن هذه القصة لا يوجد لها متابعات ولا شواهد.

٤- وعلة هذه القصة الواهية هو إسماعيل بن عيَّاش الذي تفرد بحديثها عن حميد بن أبي سُويد.

أ- قال الإمام ابن عديّ في كتابه «الكامل في ضعفاء الرجال» (٢٩٢/١، ١٢٧/١٢٧/١٢٧): «حدثنا عبد الوهاب بن أبي عصمة، حدثنا أبو طالب أحمد بن حميد، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إسماعيل بن عيَّاش ما روى عن الشاميين صحيح، وما روى عن أهل الحجاز فليس بصحيح». اهـ.

قلت: يتبين مما أخرجه الإمام ابن عديّ بسنده عن أحمد بن حنبل أن رواية إسماعيل بن عيّاش عن أهل الحجاز ليست صحيحة وهذه القصة منها لأن حُميد بن أبي سويد مكي كما بيّنا آنفًا من قول الإمام المزي، وبهذا تصبح القصة غير صحيحة.

٥- وقال الإمام العُقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٠٢/٨٨/١): «إسماعيل بن عيَّاش الحمصي أبو عتبة إذا حدّث عن غير أهل الشام اضطرب وأخطأ».

٦- وضعفه الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٣٤) حيث قال: «إسماعيل بن عيَّاش: ضعيف».

٧- وقال الإمام ابن حبَّان في كتابه «المجروحين» (١٢٤/١): «إسماعيل بن عيَّاش أبو عتبة الحمصي من أهل الشام لمَّا كَبِرَ تغير حفظه، فما حفظ في صباه وحداثته أتى به على جهته، وما حفظ على الكبر من حديث الغرباء خلط فيه وأدخل الإسناد في الإسناد وألزق المتن بالمتن وهو لا يعلم ومن كان هذا نعته، حتى صار

الخطأ في حديثه يكثر، خرج عن الاحتجاج به فيما لم يخلط فيه». اهـ.

٨- نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٢٣/٢٤٠/١) عن الإمام البخاري أنه قال: «إذا حدَّث إسماعيل بن عيَّاش عن أهل بلده فصحيح وإذا حدَّث عن غيرهم ففيه نظر». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه، وهو مصطلح «فيه نظر»، يتبين ذلك من قول الإمام السيوطي، فقد قال في «التدريب» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق: فيه نظر وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

وعلة أخرى: حميد بن أبي سويد:

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٣٣١/٦١٣/١): «حميد بن أبي سُويد ويقال حميد بن أبي سوية، ويقال حميد بن أبي حميد، عن عطاء، وعنه إسماعيل بن عيَّاش أحاديث منكرة». اهـ.

٢- وقال ابن عدي في «الكامل» (٢٧٤/٢) (٤٣٨/٦٩): «حميد بن أبي سويد مكي مولى بني علقمة وقيل حميد بن أبي حميد، حدث عنه إسماعيل بن عياش منكر الحديث». اهـ.

٣- أقر الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣٨/٣) قول ابن عدي فقال الحافظ: «وترجمه ابن عدي فقال: حميد بن أبي سويد مولى بني علقمة وقيل حميد بن أبي حميد حدث عنه إسماعيل بن عياش منكر الحديث». اهـ.

قلت: وأوردت ما أقره الحافظ لوقوع تصحيف في بعض طبعات «الكامل» لابن عدي مثل طبعة دار الفكر، الطبعة الثالثة.

٤- بعد أن بين الإمام الحافظ ابن عدي أن حُميد بن أبي سويد «منكر الحديث» ساق له أحاديث مناكير من بينها حديث هذه القصة ثم قال: وهذه الأحاديث التي يرويها عن عطاء غير محفوظات.

٥- وأقر هذا الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٣٣١/٦١٣/١): حيث قال: «وساق له ابن عدي مناكير».

٦- وترجمه الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٠٢/١) فقال: «حميد بن أبي سويد المكي، مجهول».

وهذا المصطلح عند الحافظ ابن حجر بين معناه في «مقدمة التقريب» (٥/١) عند كلامه على «مراتب الجرح والتعديل» فقال: «التاسعة: من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق وإليه الإشارة بلفظ مجهول». اهـ.

قلت: وقد تبين مما أوردناه آنفًا أن حميد بن أبي سويد المكي لم يرو عنه غير راو واحد هو إسماعيل بن عياش.

رابعًا: الاستنتاج

نستنتج من هذا التحقيق:

١- أن الحديث الذي جاءت به هذه القصة غريب حيث لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا حميد بن أبي سويد تفرد به إسماعيل بن عياش.

٢- إسماعيل بن عياش حمصي من أهل الشام متروك الحديث في روايته عن غير أهل بلده كما بين ذلك أئمة الجرح والتعديل، وهذا الحديث الذي جاءت به القصة منها؛ حيث تفرد بروايته إسماعيل بن عياش الحمصي عن حميد بن سويد المكي كما بين ذلك الإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري والإمام ابن حبان وغيرهم.

٣- حميد بن أبي سويد: مجهول العين حيث لم يرو عنه إلا راوٍ واحد ولم يوثق بل جرحه ابن عدي فقال: منكر الحديث.

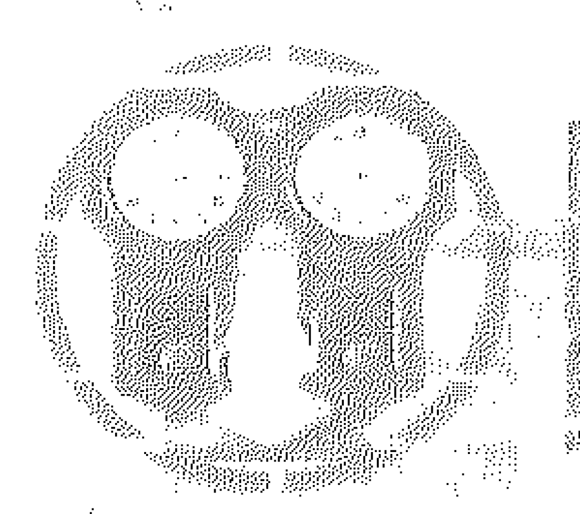
٤- بهذا تصبح القصة واهية لا تصح بل منكرة.

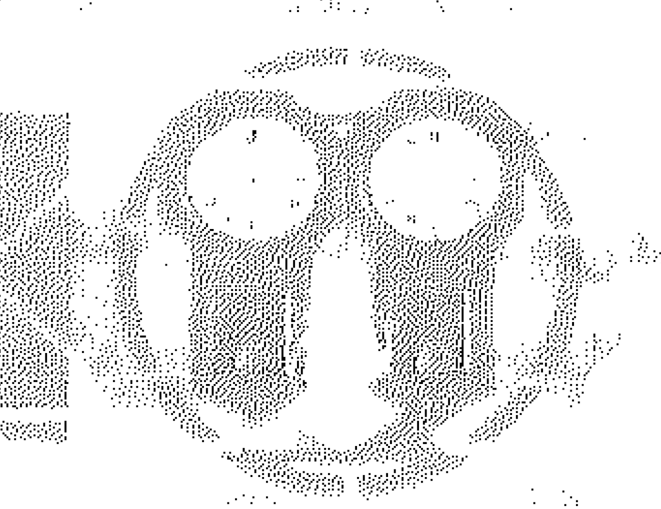
قلت: ولقد أورد هذه القصة الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف سنن ابن ماجه» (ح٦٤٠)، وفي «ضعيف الترغيب والترهيب» (ح٧٢١)، وقال: «إسماعيل بن عياش ضعيف في الحجازيين، وهذا منها، فإن حميد بن أبي سوية مكي مع أنه هو نفسه ضعيف أيضًا، وقد تفرد به إسماعيل كما قال الطبراني في «الأوسط». اهـ.

قلت: ولقد فصلنا ما أجمله الألباني - رحمه الله - بقواعد أهل الحديث وأقوال أئمة الجرح والتعديل، وبعلم الحديث التطبيقي حتى تبين ما أوردناه في الاستنتاج من النكارة وجهالة العين والترك والغرابة وعدم الصحة.

وأصبحت قصة «مسائل عطاء بن أبي رباح وهو يطوف بالبيت» واهية منكرة.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه وهو وحده من وراء القصد.





حدث في مثل هذا الشهر

حلف الفضول قبل البعثة النبوية بـ ٢٠ سنة

المراد بهذا الحلف حلف الفضول، وكان في دار عبدالله بن جدعان كما رواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبدالله عن محمد وعبدالرحمن ابني أبي بكر قالا قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفًا، لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وألا يعد ظالم مظلوما، قالوا: وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر، وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف؛ عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه أي انتهروه فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته... فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا متروك، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونُنَّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدي إليه حقه.. فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه. [البداية والنهاية ٢/٩١].

تزويجه عليه الصلاة والسلام بميمونة رضي الله عنها سنة ٧هـ

قال ابن اسحاق: حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب.

قال ابن هشام: كانت جعلت أمرها الى أختها أم الفضل، فجعلت أم الفضل أمرها الى زوجها العباس فزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة درهم.

وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيرا قالت الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ قال وفيها نزلت الآية: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وقد روى البخاري من طريق أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال، وماتت بسرف قال البيهقي وروى الدارقطني من طريق أبي الأسود يتيم عروة ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال قال وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرما أي في شهر حرام كما قال الشاعر...

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما

فدعا فلم أر مثله مخذولا

أي في شهر حرام. وقد كان في شهر ذي القعدة. (البداية والنهاية ٤/٢٣٣).

استعداد عمر رضي الله عنه لمواجهة ملك الروم في مصر سنة ١٦هـ

ولما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة وضع عمر رضي الله عنه مسالح (أسلحة) مصر على السواحل كلها، وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى مصر والشام في البحر ونهد لأهل حمص بنفسه وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر (تاريخ الطبري ٢ / ٥١٦).

خلافة الخليفة الطائع وخلع المطيع سنة ٣٦٣هـ

ذكر ابن الأثير أنه لما كان الثالث عشر من ذي القعدة، وقال ابن الجوزي كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة من هذه السنة، خُلِعَ المطيعُ لله، وذلك لفالج أصابه فثقل لسانه، فسأله سبكتكين أن يخلع نفسه ويولي من بعده ولده الطائع، فأجاب إلى ذلك فعقدت البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين وخلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة ولكن تعوض بولاية ولده واسمه الطائع أبو بكر عبد الكريم بن المطيع أبي القاسم، ولم يل الخلافة من اسمه عبد الكريم سواه، ولا من أبوه حي سواه، ولا من كنيته أبو بكر سواه وسوى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يل الخلافة من بني العباس أسن منه كان عمره لما تولى ثمانيا وأربعين سنة وكانت أمه أم ولد، اسمها غيث تعيش يوم ولي، ولما بويع ركب وعليه البردة وبين يديه سبكتكين والجيش ثم خلع من الغد على سبكتكين خلع الملوك ولقبه ناصر الدولة وعقد له الإمارة ولما كان يوم الأضحى ركب الطائع، وعليه السواد فخطب الناس بعد الصلاة خطبة خفيفة حسنة، وحكى ابن الجوزي في منتظمه أن المطيع لله كان يسمى بعد خلعه بالشيخ الفاضل. البداية والنهاية ١١/ ٢٧٦

وفاة ولي العهد ابن الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦١٢هـ

في هذه السنة كانت وفاة ولي العهد أبي الحسن علي بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، ولما توفي حزن الخليفة عليه حزنا عظيما، وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صدقاته وإحسانه إلى الناس، حتى قيل إنه لم يبق بيت ببغداد إلا حزنوا عليه، وكان يوم جنازته يومًا مشهودًا، وناح أهل البلد عليه ليلا ونهارا ودفن عند جدته، توفي يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة وصلي عليه بعد صلاة العصر.

[البداية والنهاية ١٣/ ٦٩].

خروج شيخ الإسلام ابن تيمية من مصر إلى الشام مع الجيش المصري سنة ٧١٦هـ

ثم إنه توجه إلى الشام صحبة الجيش المصري قاصدا الغزاة فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس وتوجه منه إلى دمشق، وجعل طريقه على عجلون وبعض بلاد السواد وزرع، ووصل إلى دمشق في أول يوم من شهر ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه وخرج خلق كثير لتلقيه وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته وعافيته ،وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع. وقد توفي في أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم. (العقود الدرية ١/ ٣٠٦).

وفاة الإمام الذهبي سنة ٧٤٨هـ

في ليلة الاثنين ثالث شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي بتربة أم الصالح وصلي عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله. وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حُضِّرت تربة أم الصالح رحم الله واقفها عوضا عن الشيخ شمس الدين الذهبي وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة وكان درسا مشهودًا ولله الحمد والمنة.. وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائب السلطنة بجماعة انتهبوا شيئا من الباعة فقطعوا أحد عشر منهم وسمر عشرا وسمروا تعزيرا وتأديبا انتهى والله أعلم.

[البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٥].



حكم أخذ وكالات عديدة في الحج

سؤال: من وكل شخصًا ليحج عن أمه ثم علم بعد ذلك أن هذا الشخص قد أخذ وكالات عديدة، فما الحكم حينئذ؟ أفتونا غفر الله لكم.

الجواب: الذي ينبغي للإنسان أن يكون حازمًا في تصرفه، وألا يكل الأمر إلا إلى شخص يطمئن إليه في دينه، بأن يكون أمينًا عالمًا بما يحتاج إليه في مثل ذلك العمل الذي وكل إليه فإذا أردت أن تعطي شخصًا ليحج عن أبيك المتوفى، أو أمك فعليك أن تختار من الناس من تثق به في علمه وفي دينه؛ وذلك لأن كثيرًا من الناس عندهم جهل عظيم في أحكام الحج، فلا يؤدون الحج على ما ينبغي وإن كانوا هم في أنفسهم أمناء، لكنهم يظنون أن هذا هو الواجب عليهم، وهم يخطئون كثيرًا، ومثل هؤلاء لا ينبغي أن يعطوا إنابة في الحج لقصور علمهم، ومن الناس من يكون عنده علم لكن ليس لديه أمانة فتجده لا يهتم بما يقوله أو يفعله في مناسك الحج لضعف أمانته ودينه، ومثل هذا أيضًا لا ينبغي أن يعطى أو أن يوكل إليه أداء الحج، فعلى من أراد أن ينيب شخصًا في الحج عنه أن يختار أفضل من يجده علمًا وأمانة، حتى يؤدي ما طلب منه على الوجه الأكمل.

وهذا الرجل الذي ذكر السائل أنه أعطاه ليحج عن والدته وسمع فيما بعد أنه أخذ حجات أخرى لغيره ينظر؛ فلعل هذا الرجل أخذ هذه الحجات من غيره وأقام أناسًا يؤدونها، وقام هو بأداء الحج عن الذي استنابه، ولكن هل يجوز للإنسان أن يفعل هذا الفعل ؟ أي: هل يجوز للإنسان أن يتوكل عن أشخاص متعددين في الحج أو في العمرة، ثم لا يباشر هو بنفسه ذلك، بل يكلها إلى ناس آخرين ؟

فنقول في الجواب: إن ذلك لا يجوز ولا يحل، وهو من أكل المال بالباطل، فإن بعض الناس يتاجر في هذا الأمر، تجده يأخذ عدة حجج، وعدة عمرات على أنه هو الذي سيقوم بها، ولكنه يكلها إلى فلان وفلان من الناس بأقل مما أخذ هو، فيكسب أموالاً بالباطل، ويعطي أشخاصًا قد لا يرضونهم من أعطوه هذه الحجج أو العمرات، فعلى المرء أن يتقي الله عز وجل في إخوانه، وفي نفسه ؛ لأنه إذا أخذ مثل هذا المال فقد أخذه بغير حق، ولأنه إذا ائتمن من قبل إخوانه على أنه هو الذي يؤدي الحج، أو العمرة فإنه لا يجوز له أن يكل ذلك إلى غيره، لأن هذا التغيير قد لا يرضاه من أعطاه هذه الحجج أو هذه العمرات. [الشيخ ابن عثيمين].

حج من عليه دين

سؤال: من عليه دين هل يلزمه الحج؟

الجواب: إذا كان على الإنسان دين يستغرق ما عنده من المال فإنه لا يجب عليه الحج؛ لأن الله تعالى إنما أوجب الحج على المستطيع، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ومن عليه دين يستغرق ما عنده لم يكن مستطيعًا للحج، وعلى هذا فيوفي الدين، ثم إذا تيسر له بعد ذلك فليحج.

وأما إذا كان الدين أقل مما عنده بحيث يتوفر لديه ما يحج به من بعد أداء الدين فإنه يقضي دينه، ثم يحج حينئذ، سواء كان فرضًا أم تطوعًا، لكن الفريضة يجب عليه أن يبادر بها، وغير الفريضة هو بالخيار إن شاء تطوع، وإن شاء ألا يتطوع فلا إثم عليه. [الشيخ ابن عثيمين].

حكم المال المتبقي من الحج

سؤال: إذا حج الإنسان عن غيره بأجرة فبقي منها شيء فهل يأخذه؟

الجواب: إذا أخذ دراهم ليحج بها وزادت هذه الدراهم عن نفقة الحج فإنه لا يلزمه أن يردها إلى من أعطاه هذه الدراهم إلا إذا كان الذي أعطاه قال له: «حج منها»، ولم يقل: «حج بها»، فإذا قال: «حج منها» فإنه يلزمه أن يرد ما بقي، اللهم إلا أن يكون الذي

أعطاه رجلاً لا يدري عن أمور الحج، ويظن الحج يتكلف مصاريف كثيرة فأعطاه بناء على غرته وعدم معرفته فحينئذ يجب عليه أن يبين له، وأن يقول: إني حججت بكذا وكذا، وإن الذي أعطيتني أكثر مما أستحق، وحينئذ إذا رخص له فيه وسمح له فلا حرج. [الشيخ ابن عثيمين].

تجاوز الميقات بدون إحرام

سؤال: ما الحكم فيمن تجاوز الميقات بدون إحرام وهو يريد العمرة أو الحج؟

الجواب: الواجب على من أراد الحج أو العمرة ومرّ بالميقات ألا يتجاوز الميقات حتى يحرم منه ؛ لأن النبي ﷺ قال: «يهل أهل المدينة من ذي الحليفة...». أخرجه البخاري. وكلمة: «يهل» خبر بمعنى الأمر، وعلى هذا فيجب على من أراد الحج أو العمرة إذا مر بالميقات أن يهل منه، ولا يتجاوزه، فإن فعل وتجاوز وجب عليه أن يرجع ليحرم منه، وإذا رجع وأحرم منه فلا فدية عليه، فإذا أحرم من مكانه ولم يرجع فعليه عند أهل العلم فدية يذبحها ويوزعها على فقراء مكة. [الشيخ ابن عثيمين].

حكم حج المرأة بدون محرم

سؤال: إذا حجت المرأة بدون محرم فهل حجها صحيح؟ وهل الصبي المميز يعتبر محرمًا؟ وما الذي يشترط في المحرم؟

الجواب: حجها صحيح، لكن فعلها وسفرها بدون مَحْرم مُحَرَّمٌ، ومعصية لرسول الله ﷺ، فإنه عليه الصلاة والسلام قال: «لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم». أخرجه البخاري.

والصغير الذي لم يبلغ ليس بمحرم؛ لأنه هو نفسه يحتاج إلى ولاية وإلى نظر، ومن كان كذلك فلا يمكن أن يكون ناظرًا أو وليًا لغيره.

والذي يشترط في المحرم أن يكون مسلمًا، ذكرًا، بالغًا، عاقلاً، فإذا لم يكن كذلك فإنه ليس بمحرم.

وهاهنا أمرٌ نأسف له كثيرًا وهو: تهاون بعض النساء في السفر بالطائرة بدون محرم، فإنهن يتهاون بذلك، تجد المرأة تسافر في الطائرة وحدها، وتعليلهم لهذا الأمر يقولون: إن محرمها يشيعها إلى المطار الذي أقلعت منه الطائرة، والمحرم الآخر يستقبلها في المطار الذي تهبط فيه الطائرة، وهي في الطائرة آمنة.

وهذه العلة عليلة في الواقع، فإن محرمها الذي شيعها ليس يدخلها في الطائرة، وإنما يدخلها في صالة الانتظار.

وربما تتأخر الطائرة عن الإقلاع فتبقى هذه المرأة ضائعة.

وربما تطير الطائرة ولا تتمكن من الهبوط في المطار الذي تقصده لسبب من الأسباب، وتهبط في مكان آخر، فتضيع هذه المرأة.

وربما تهبط في المطار الذي قصدته، ولكن لا يأتي محرمها الذي يستقبلها لسبب من الأسباب لمرض، أو نوم، أو حادث في سيارته منعه من الوصول، أو غير ذلك.

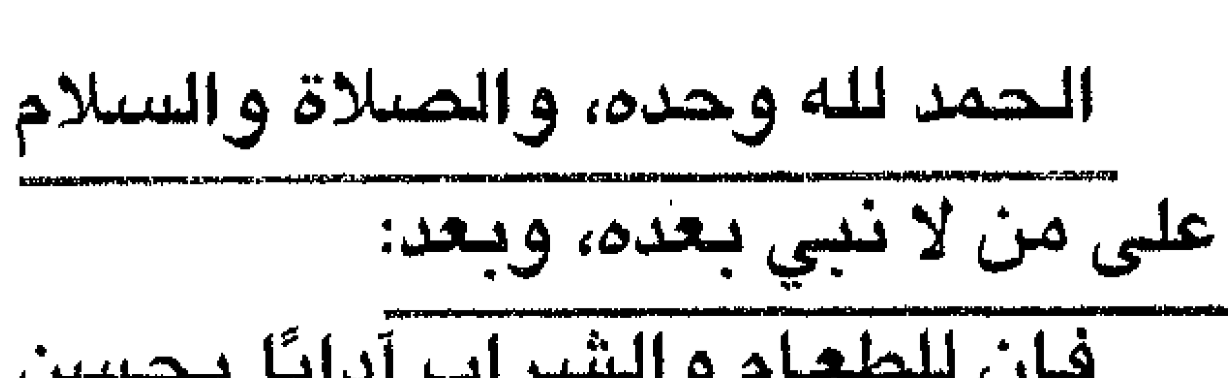
وإذا انتهت هذه الموانع كلها ووصلت الطائرة في وقت وصولها، ووجد المحرم الذي يستقبلها، فإنه من الذي يكون إلى جانبها في الطائرة، قد يكون إلى جانبها رجل لا يخشى الله تعالى ولا يرحم عباد الله فيغريها وتغتر به، ويحصل بذلك الفتنة والمحظور كما هو معلوم.

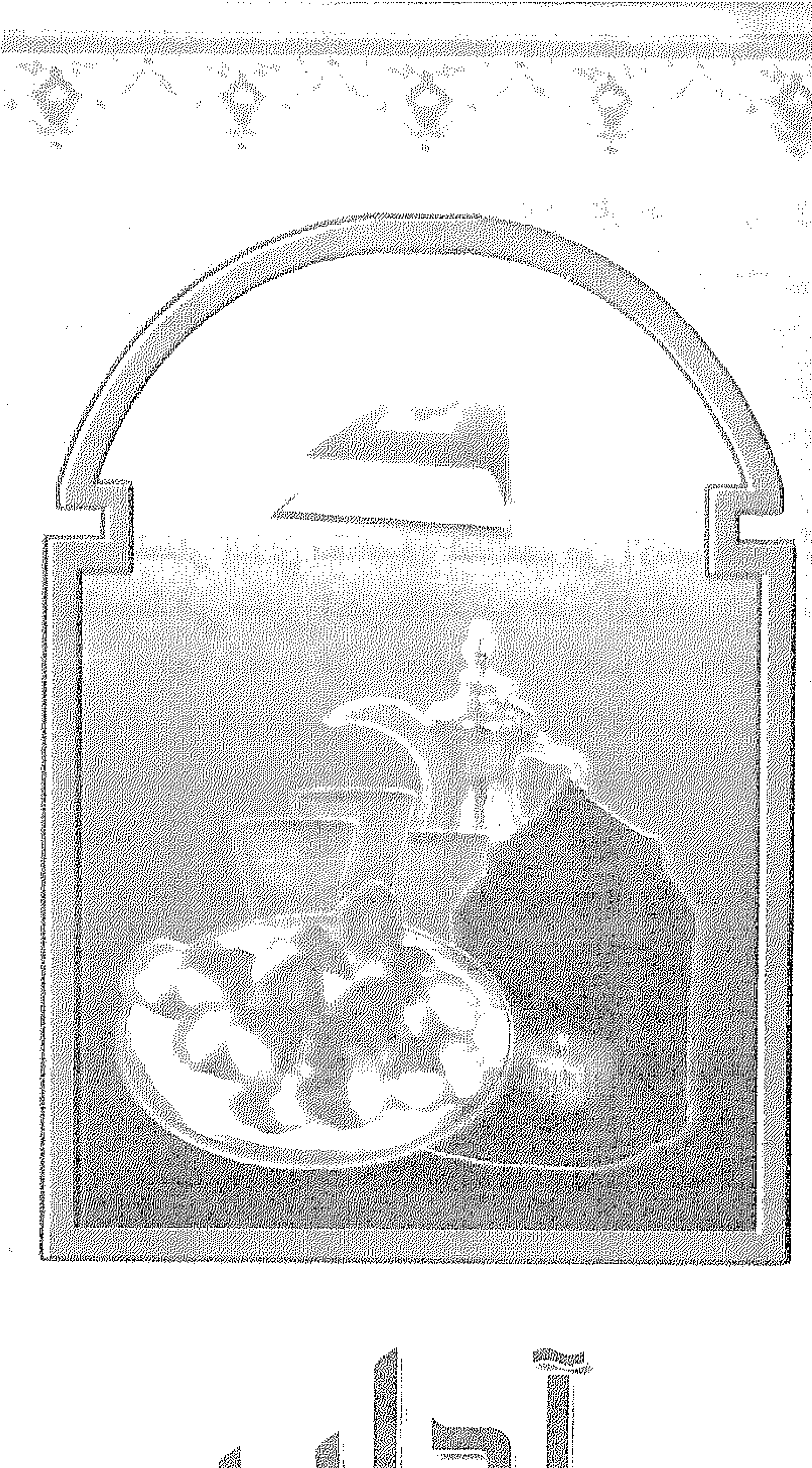
فالواجب على المرأة أن تتقي الله عز وجل، وألا تسافر إلا مع ذي محرم، والواجب أيضًا على أولياء النساء من الرجال الذين جعلهم الله قوامين عليهن أن يتقوا الله عز وجل، وألا يفرطوا في محارمهم، وألا تذهب غيرتهم ودينهم، فإن الإنسان مسئول عن أهله، لأن الله تعالى جعلهم أمانة عنده، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦). [الشيخ ابن عثيمين].

حكم أخذ المرأة حبوب منع الدورة أثناء الحج

سؤال: هل من المباح للمرأة أن تأخذ حبوبًا تؤجل بها الدورة الشهرية حتى تؤدي فريضة الحج، وهل لها مخرج آخر؟

الجواب: لا حرج أن تأخذ المرأة حبوب منع الحمل لتمنع الدورة الشهرية أيام رمضان حتى تصوم مع الناس، وفي أيام الحج حتى تطوف مع الناس، ولا تتعطل عن أعمال الحج وإن وجدت غير الحبوب شيئًا يمنع من الدورة فلا بأس إذا لم يكن فيه محذور شرعًا أو مضرة. [الشيخ ابن باز].







آداب الطعام والشراب

إعداد/ د. حسن إبراهيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن للطعام والشراب آدابًا يحسن بالمسلم أن يتعلمها لأن بعضها واجب يلزم العمل به، والبعض الآخر مستحب يثاب فاعله ولا يأثم تاركه، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا من الذين يسارعون في الخيرات، اللهم آمين.

وفيما يلي بيان ببعض تلك الآداب:

١- التسمية في أول الطعام (والشراب)، والحمد في آخره؛ لقوله ﷺ : «سمِّ الله، وكُل بيمينك، وكُل مما يليك». متفق عليه.

ولقوله ﷺ : «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه». رواه مسلم.

ولقوله ﷺ : «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء». رواه مسلم.

ولقوله ﷺ : «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: باسم الله أوله وآخره». رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني رحمهم الله.

وكان النبي ﷺ إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه». رواه البخاري.

ولقوله ﷺ : «من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه». رواه أبو داود والترمذي وصححه

الألباني، رحمهم الله.

٢- ويكره ذم الطعام ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه». متفق عليه.

٣- ويحرم الأكل أو الشرب بالشمال ؛ لقوله ﷺ: «لا يأكلن أحدكم بشماله، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها». رواه مسلم.

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «كُل بيمينك». قال: لا أستطيع. قال: «لا استطعت». ما منعه إلا الكبر. فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم.

روى أن يده شُلت في الحال بدعوة النبي ﷺ فأصبح بالفعل عاجزًا عن الأكل بها.

٤- ويستحب الاجتماع على الطعام ؛ لقوله ﷺ : «اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يُبارك لكم فيه». رواه أبو داود وصححه الألباني، رحمهما الله.

٥- ويستحب الأكل من جانب القصعة، ويكره الأكل من وسطها ؛ لقوله ﷺ : «وكل مما يليك». متفق عليه.

ولقوله ﷺ : «البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه». رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني، رحمهم الله.

٦- ويكره الأكل متكئًا؛ لقوله ﷺ: «لا آكل متكئًا». رواه البخاري.

٧- ويستحب الأكل بثلاث أصابع ولعقها ولعق القصعة، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها. رواه مسلم.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة». رواه مسلم.

٨- ومن السنة أخذ اللقمة التي سقطت وأكلها؛ لقوله ﷺ : «إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة». رواه مسلم.

٩- ويستحب تكثير الأيدي على الطعام ؛ لقوله ﷺ : «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية».

١٠- ويكره التنفس في الإناء، ويستحب التنفس خارجه ثلاثًا، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء. متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا. متفق عليه.

والمعنى أنه كان يتنفس خارج الإناء ثلاثًا.

١١- ويكره الشرب من فم القربة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُشرب من في السقاء أو القربة. متفق عليه.

١٢- ويكره النفخ في الإناء. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه. رواه الترمذي وصححه الألباني، رحمهما الله.

١٣- ويستحب الشرب والأكل قاعدًا، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى أن يشرب الرجل قائمًا، قال قتادة: فقلنا لأنس: فالأكل؟ قال ذلك أشر وأخبث. رواه مسلم.

وفي رواية لمسلم أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائمًا.

ويجوز الشرب من ماء زمزم قائمًا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم. متفق عليه.

١٤- ويستحب أن يكون ساقي القوم آخرهم شربًا؛ لقوله ﷺ : «ساقي القوم آخرهم». يعني شربًا. رواه الترمذي وصححه الألباني، رحمهما الله.

١٥- ويحرم الأكل أو الشرب في آنية الذهب والفضة ؛ لقوله ﷺ: «الذي يشرب في آنية الفضة

إنما يجرجر في بطنه نار جهنم». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الفضة والذهب».

١٦- ويحرم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير. رواه مسلم.

١٧- ويحرم تعاطي المسكرات ؛ لقوله ﷺ : «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام».

رواه مسلم.

ولقوله ﷺ : «كل شراب أسكر فهو حرام».

١٨- ويكره نقع التمر والزبيب جميعًا ؛ لأن السكر يسرع إلى الخليط قبل أن يتغير طعمه فيحسبه الشارب غير مسكر بينما يكون في الحقيقة مسكرًا. عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن ينبذ التمر والزبيب جميعًا. رواه مسلم.

١٩- ويحرم التداوي بالخمر لقوله ﷺ : «إنه ليس بدواء، ولكنه داء». رواه مسلم.

٢٠- ومن السنة تغطية الإناء ؛ لقوله ﷺ : «غطوا الإناء وأوكوا السقاء». رواه مسلم.

٢١- ويستحب أن يسقي الشارب من على يمينه ؛ لقوله ﷺ : «الأيمنون، الأيمنون، الأيمنون». قال أنس: فهي سنة، فهي سنة، فهي سنة. رواه مسلم.

٢٢- ويستحب التقلل من الطعام والشراب ؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

ولقوله ﷺ : «ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطن، بحسب ابن آدم أكلاتُ (يعني لقمٌ) يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه». رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني، رحمهم الله تعالى - آمين.

٢٣- مواسم الطعام والشراب:

للطعام والشراب مواسم منها:

أ- أيام التشريق ؛ لقوله ﷺ : «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله». رواه مسلم.

وفي رواية لأحمد: «إنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل».

رواه أحمد وغيره وصححه الألباني.

ب- ولائم العرس ؛ لقوله ﷺ : «أَوْلِم ولَوْ بشاة». رواه مسلم.

ويستحب إجابة الدعوة لقوله ﷺ : «إذا دعا أحدكم أخاه فليجب». رواه مسلم.

كما يستحب دعوة الفقراء والأغنياء ؛ لقوله ﷺ : «شر الطعام طعام الوليمة يُمنعها من يأتيها ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله».

رواه مسلم.

جـ- ولائم العقيقة: ويستحب أن تقسم ذبيحة العقيقة كما تقسم الأضحية: يأكل منها أهل البيت ويتصدقون ويهدون.

٢٤- شهر رمضان هو شهر الصيام وليس شهرًا للطعام، وما يفعله الناس الآن من إعداد ميزانية خاصة لما لذ وطاب من الأطعمة وأنواع الحلوى في هذا الشهر مخالف للسنة وللمقصود من الصيام.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا رزقًا حلالاً طيبًا، وأن يُبارك لنا فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإنكار على أهل البدع واجب شرعي وليس ظلماً

إعداد / د. ناصر العقل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد درج أهل الأهواء والبدع والافتراق على تسمية احتساب السلف الصالح على أهل الأهواء والبدع والافتراق والتحذير من بدعهم وحماية عقيدة الأمة منها ظلمًا وعدوانًا وحجرًا، وكتمًا للحريات، وإرهاب المخالف، واستعداء عليه، وكان من أبرز هذه المزاعم: دعوى أن السلف الصالح أهل السنة ظلموا الفرق، وأنهم بإنكارهم للبدع والمحدثات يفرقون المسلمين، وقد جهل هؤلاء أو تجاهلوا أنه قد ثبت في النصوص القاطعة أن هذه الأمة -كسائر الأمم السابقة- ستفترق، وأنه ستبقى طائفة واحدة من ثلاث وسبعين على الحق، كما قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾

[هود: ١١٨، ١١٩].

وقال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم».

وحذر النبي ﷺ من البدع والمحدثات والأهواء والافتراق، وأخبر عن دعاة السبل وحذر منهم، ومن دعاة الضلالة، وأمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، ونهى عن التفرق فقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وأمر ﷺ بالجماعة والسنة، ونهى عن الفرقة والبدعة، وقد استجاب السلف الصالح - الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان - لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، وصدقوا خبره وأخذوا بوصيته، وقاموا بواجب النصيحة في نشر السنة والنهي عن البدعة والتحذير منها وحماية الأمة من غوائلها، واستجابوا لأمر النبي ﷺ بقوله: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

[رواه مسلم رقم: ٤٩].

فإن البدع أعظم المنكرات بعد الشرك، وجهود السلف في هذا الصدد مشهورة، ومن ذلك:

-لما حدثت الردة بعد موت رسول الله ﷺ قيض الله تعالى لها أبا بكر - رضي الله عنه - فوقف وقفته الحازمة المشهورة التي كسر الله بها موجة الردة، وأعز الله بها الدين، وأيده على ذلك الصحابة - بإجماع - وناصروه.

-ولما ظهرت بعض بذور البدع في عهد عمر - رضي الله عنه - كالكلام في القدر، والاحتجاج على المعاصي، ومتشابه الآيات، فأقام عمر معوجها بدرته المشهورة، فأدّب صبيغًا لخوضه في الآيات المتشابهات، وأدب الأمة كلها عندما هدد النصراني القدري - بطريك الشام - حينما زعم أن الله لا يضل من يشاء، كما أدب عمر - رضي الله عنه - الأمة كلها كذلك بقطع شجرة الحديبية لقطع دابر البدع، ونهى الذين كانوا يرتادون مواطن محددة للتعبد عندها مما لم يرد به الشرع.

ونَهَرَ كعب الأحبار، وقال له: «لقد ضاهيت اليهودية» حينما أشار كعب أن يصلي عمر إلى الصخرة في بيت المقدس.

-وأدب علي - رضي الله عنه - الشيعة الغلاة، وحرقهم في النار حينما علم أنهم يغلون فيه ويقدسونه، وأمر بجلد المفترية من الشيعة الذين فضلوه على أبي بكر وعمر.

ولما ظهرت الخوارج قيض الله لها سائر الصحابة وعلى رأسهم عليّ رضي الله عنه وابن

عباس رضي الله عنهما، فأقاموا عليهم الحجة، وبينوا لهم المحجة حتى رجع منهم من كان يريد الحق، وأصر أهل الأهواء على بدعتهم، فقاتلهم الصحابة احتسابًا وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ وقمعًا لبدعهم، وحذروا منهم ومن مجالستهم.

ولما ظهرت القدرية في النصف الثاني من القرن الأول تصدى لها متأخروا الصحابة كعبد الله بن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع، رضي الله عنهم، وكان من أشدهم على القدرية ابن عمر، الذي حذر منها وأنذر، وكشف عوارها، وحذر من معبد الجهني رأس القدرية وأصحابه، ونهى عن مجالستهم ومخالطتهم والتلقي عنهم، وكذلك ابن عباس وكذلك لما أعلن غيلان الدمشقي بدعة القول بالقدر تصدى لها التابعون وعلى رأسهم مجاهد، والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وريحانة الشام الأوزاعي، لكنه أصر على بدعته حتى قتله هشام بن عبد الملك لبدعته، وقد زعم أهل الأهواء أن قتله كان سياسيًا! وهذا ضرب من الحكم على القلوب والنوايا التي لا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه واتهام للنيات، والعدول عن الأمر البيّن المشهور الثابت عن الثقات إلى الظنون والأوهام والمشتبهات.

ثم اعتزلت المعتزلة الأولى وعلى رأسهم واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، فتصدى لهم أئمة السنة أمثال الحسن البصري، وأيوب السختياني، وابن عون، وثابت البناني، وابن سيرين، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وأبي حنيفة، وابن المبارك، وهكذا كلما كثرت حشود البدعة تصدت لها جحافل السنة.

ولما نبغت الرافضة قيض الله لها أمثال: الشعبي والشافعي وعبد الله بن إدريس الأودي وغيرهم.

ولما برز رأس الجهمية الجهم بن صفوان، تصدى له سائر أئمة السلف: كالزهري، ومالك، وأبي حنيفة، ثم عبد الله بن المبارك، وأمثالهم.

ولما نبغ بشر المريسي - رأس الجهمية في زمانه - تصدى له أمثال عثمان بن سعيد الدارمي، والشافعي، والكناني.

ولما احتشدت حشود الأهواء زمن المأمون وبعده من الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم، وعلى رأسهم ابن أبي دؤاد، تصدى لهم إمام السنة وقامع البدعة الإمام أحمد بن حنبل، فكسرهم كسرة لم ينهضوا بعدها إلا متعثرين بحمد الله.

ولما تجمعت فلول الجهمية المعتزلة في آخر القرن الثالث، وصالت صولتها، قيض الله لها أبا الحسن الأشعري، وكان الخبير بعوارها، لأنه كان معتزليًا فهداه الله للسنة، فحشر المعتزلة في قمع السمسمة - كما قيل - وكسرهم، فانهزموا هزيمة منكرة.

ولما نبغت نابغة الكلام وريثة الجهمية والمعتزلة، وبدأ أهل الكلام يخوضون في صفات الله تعالى والإيمان والقدر، تصدى لهم أئمة السلف في القرنين الرابع والخامس الهجريين: كالبربهاري، وابن خزيمة، وابن بطة، والهروي واللالكائي، وابن منده، والملطي، والصابوني، والآجري، وابن وضاح، والبغوي، وابن عبد البر، وأمثالهم.

وفي القرون السادس والسابع والثامن الهجرية عمت البلوى بالبدع والأهواء والافتراق، وهيمنة الفرق في سائر البلاد الإسلامية، واستحكمت الصوفية ببدعها، وساد الكلام والفلسفة والباطنية والدجل، وتسلط الكفار على كثير من بلاد المسلمين في الشام وغيرها.

فقيض الله أمثال: الشاطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه (كابن القيم، والذهبي، وابن كثير، وابن رجب)، فتصدى شيخ الإسلام لجحافل البدع وعساكر الضلالة وجاهد في كل ميدان بلسانه وقلمه ويده، فقد تصدى لأهل الكلام، والفلاسفة، والباطنية، والصوفية، والرافضة، واليهود، والنصارى، والصابئة.

كما كان مجاهدًا بعلمه ولسانه وسيفه للكفار التتار والنصارى الصليبيين والبغاة، وكان يشجع المسلمين على الجهاد في كل ميدان، وله في ذلك إسهامات مشهورة مشهودة.

وكان ناصحًا لولاة المسلمين وأئمتهم، يذكرهم ويعظهم، ويحثهم على الجهاد ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر بحكمة وقوة، كما كان ناصحًا لعامة المسلمين وعلمائهم، وكان آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، هو وأتباعه يصدع بذلك، ولا يخاف في الله لومة لائم، حتى أبان

الله به السنة، ونصر به راية السلف، وكشف الله به أهل البدع وعقائدهم ومناهجهم، وحتى أقام الحجة، وأبان المحجة، ونصر الملة، ولا تزال آثاره ومؤلفاته مرجعًا لكل صاحب سنة، وقذى في عين كل صاحب بدعة، وفيها فرقان بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله، رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وفي العصور المتأخرة: استحكمت البدع والشركيات، وانتشرت الطرق الصوفية والمقابرية والعادات الجاهلية حتى في جزيرة العرب، فتصدى لها ناصر السنة وقامع البدعة: الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، فطهر الله بدعوته المباركة أرض جزيرة العرب خاصة الحجاز ونجد وما حولها من البدع والشركيات والمقابرية والصوفية الضالة، كما نفع الله بدعوته سائر أقطار المسلمين، حيث اعتزت بها السنة وأنصارها، وانتصرت السلفية، واحتمت وأوت إلى ركن شديد، حيث قامت لها وعليها دولة نشرتها وحمتها بالسيف والقلم وهي الدولة السعودية، أعزها الله بالإسلام ونصر بها السنة وأهلها.

ولا نزال - بحمد الله - نرى ثمار هذه الدعوة في كل مكان، رغم تكالب جحافل البدعة، وما أجلبوه عليها بخيلهم ورجلهم: بالسب، والهمز، واللمز، وإعلان العداوة، وصد الناس بشتى الوسائل، والله غالب على أمره.

ولما نبغت نابغة (سب السلف) في القرن الماضي (الرابع عشر الهجري) على لسان الكوثرية، معلنة انتقاص بعض أئمة السلف، ورافعة راية الكلام والتجهم، واتهام السلف وأتباعهم، ورميهم بالألقاب المشينة والألفاظ المقذعة مثل: (الحشوية، والمشبهة، والحمقى، والجهلة، والأوباش والرعاع)، قيض الله لهم أمثال: المعلمي، والألباني، وبكر أبو زيد، وسائر مشايخنا، حفظهم الله.

ولما أخرجت البدع أعناقها في البلاد الطاهرة على يد أحد المنتسبين للعلوية وأتباعهم، تصدى لها طائفة من المشايخ وطلاب العلم وفقنا الله وإياهم، ولا يزال مشايخنا لهم جهود مشكورة في هذا المضمار، وفقهم الله وسدد خطاهم، والآن وقد بدأ (نبّاشة القبور) يثيرون المشتبهات ويشككون أبناء المسلمين بالمسلّمات، وينهشون علماء السلف، وينبّشون في كتبهم عن الزلات، ويطعنون في سلف الأمة ويبكون على أطلال الفرق والبدع، ويمجدون رؤوس الضلالة والأهواء، ويرددون مطاعن الزنادقة في خيار الأمة، وإنّا لمنتظرون - تحقيقًا لوعد الله بحفظ دينه - مَنْ يتصدى لهذه النابتة الخبيثة كفانا الله شرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

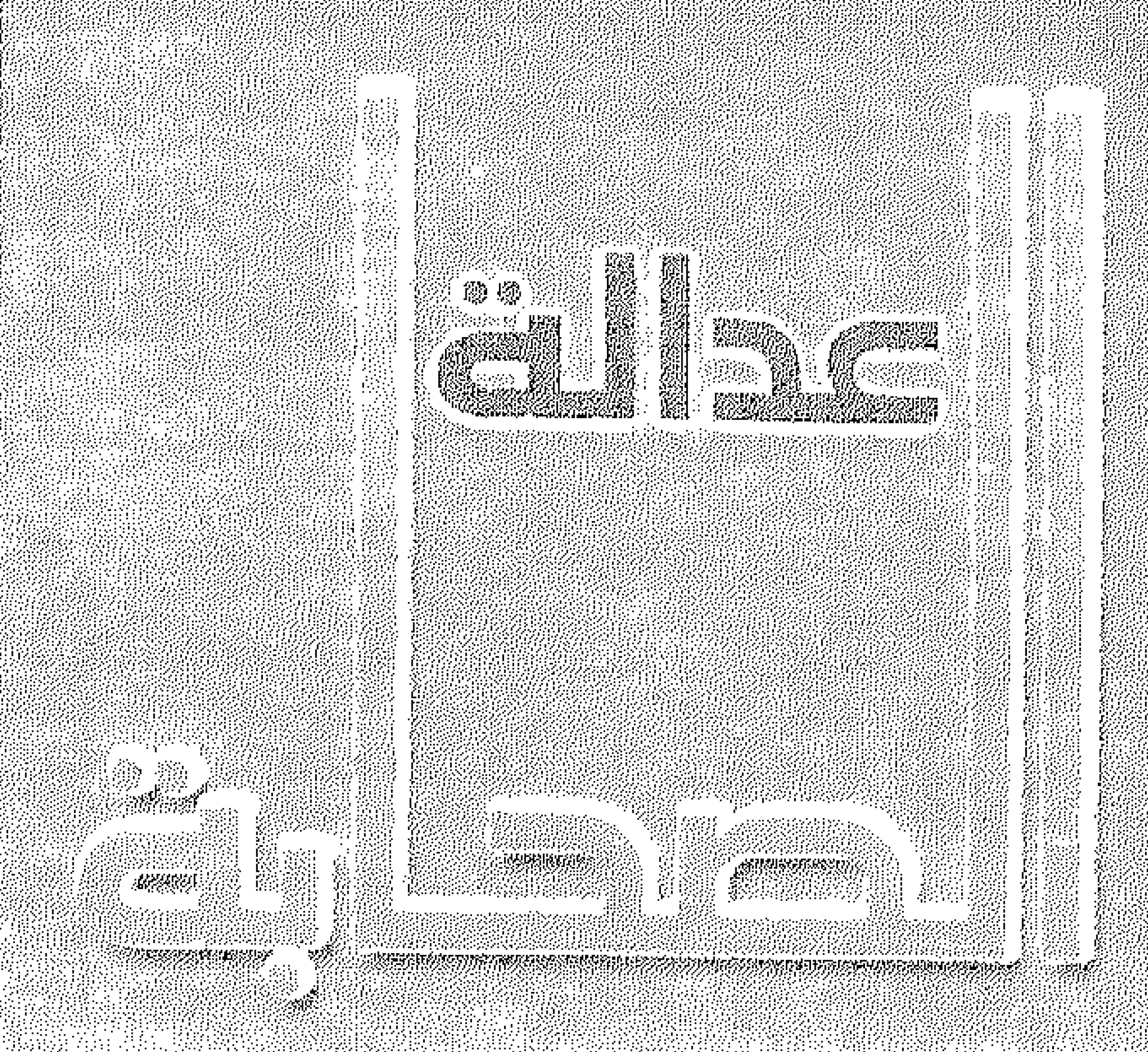
ومما ينبغي التنبيه له، أن أهل الأهواء - قديمًا وحديثًا - يضيقون ذرعًا بإنكار البدع والتصدي للمبتدعة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجعلون ذلك - حسب موازينهم التي تقوم على الأهواء من الظلم والشتم والسب، والحجر، وكتم الحريات، والاستعداء ضد الخصوم، والتضييق على المخالفين.

ويتهمون السلف الذين ينهون عن البدع والآثام ويحذرون منها ومن أهلها: بالتكفير والتبديع والتفسيق ونحو ذلك، وكل ذلك من التلبيس والبهتان، فإن هذه أحكام شرعية يطلقها المجتهدون من العلماء الثقات على من يستحقها شرعًا، حسب اجتهادهم، وقد يخطئ الواحد منهم، لكن ليس ذلك من منهجهم.

ولذلك فإن أهل الأهواء يتهمون السلف بالسب والشتم واللعن ونحو ذلك من هذا المنطلق، أعني أنهم يسمون إطلاق الأحكام الشرعية من الكفر والبدعة والفسق ونحوها على من يستحقها شرعًا: شتمًا ولعنًا وسبًا، وهذا هو منهج أعداء الرسل في كل زمان.

مع العلم أن السب للكفر والشرك والبدع والأهواء والفسوق مشروع ومطلوب شرعًا بالضوابط الشرعية، وقد جاء ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالنبي ﷺ كما كان يأمر بالتوحيد، كان كذلك ينهى عن الشرك ويذم عبادة الأصنام والأوثان، وقد وصفه المشركون بأنه ﷺ حين ينهى عن الشرك (يسبُّ آلهتهم) وهو سبٌّ مشروع ومن دعائم الدين الكبرى في كل زمان.

والحمد لله رب العالمين.



إعداد/
صلاح الدين إبراهيم النبراوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن المعلوم أن قلب الإسلام النابض يتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وقد تلقفهما «الصحابة» رضوان الله عليهم، فأقاموا الدين علمًا وعملاً ودعوة إلى الله تعالى فهم القدوة والمثل الأعلى للأمة.

غير أنه في كل فترة تطل علينا الرافضة برؤوسها المعرضة ومحاولاتها المستميتة في التلبيس على الناس، فيأخذون في التطاول على الصحابة، وسب الأئمة، بل وخصصوا الآن بعض القنوات الفضائية للهجوم على ديننا ونبينا، وصار سب أصحاب النبي ﷺ بابًا ثابتًا في كثير من صحفهم، مع أن هؤلاء الصحابة الكرام هم شهود الدين، وحملة الشريعة الذين نقلوا إلينا عقيدة التوحيد الصافية النقية، وقبل أن نتحدث عن عدالة الصحابة رضي الله عنهم نبدأ أولا بتعريف الصحابي.

١- مَنْ هو الصحابي؟

قال ابن حجر رحمه الله في «الإصابة»: «الصحابي: هو كل من لقي النبي ﷺ، مؤمنًا به، ومات على الإسلام». [الإصابة ١/١٠].

وصحابة رسول الله ﷺ كلهم عدول، وكلهم ذوو فضل وكرامة، لأن الصحبة شرف لم يكتبه الله تعالى إلا لمن اختارهم لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه.

العدل من الناس في اللغة: المرضي قوله وحكمه. لسان العرب مادة عدل. وأما في الاصطلاح فالعدالة عبارة عن: استقامة السيرة والدين.

وقد أخرج البزار في مسنده من طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اختار لي أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا، وجعلهم أصحابي ؛ وقال: في أصحابي كلهم خيراً». [مسند البزار بسند صحيح، قال الهيثمي رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف: ١٠/١٦].

وروى أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد خيرها قلب محمد ﷺ فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فاختارهم لصحبة نبيه ونُصرة دينه».

[انظر شرح الدرة المضية للسفاريني: ٢/٢٨٠].

وهؤلاء الصحابة الكرام تربوا في مدرسة النبي ﷺ وأخذوا عنه حتى حقق بهم عقيدة التوحيد الصافية، فأصبحوا بفضل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة روّاد العالم وسادته، وصار الاقتداء بهم أسهل طريق إلى الجنة.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من كان متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالاً ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الطريق المستقيم».

[شرح الدرة المضية للسفاريني ٢/٢٨٠].

٢- مكانة الصحابة في القرآن الكريم:

وقد شهد لهم رب العزة سبحانه وتعالى بالفضل والكرامة، وضمن لهم الجنة في أكثر من تسعين آية،

منها سبع عشرة آية صريحة تمجدهم وتشيد بفضلهم، نذكر منها:

قوله تعالى - مبينًا أنه قد رضي عن أصحاب النبي-: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

تأمل قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ بصيغة الماضي، وقد سمع عبد الله بن عباس رضي الله عنه رجلاً ينال من أصحاب رسول الله ﷺ فقال له: أمن المهاجرين الأولين أنت؟ قال: لا. قال: فمن الأنصار أنت؟ قال: لا. قال: فأنا أشهد بأنك لست من التابعين لهم بإحسان.

وقال تعالى مبينًا أن أصحاب النبي ﷺ كلهم في الجنة، وإن اختلفت درجاتهم: ﴿ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

تأمل: وكلاً وَعَدَ الله الحسنى بصيغة الماضي أيضًا.

وقوله تعالى يصف أصحاب النبي ﷺ بأنهم عدول: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ووسطًا أي عدولاً.

وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولا يخفى على أحد أن «كنتم» بمعنى أنتم.

وقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

فأصحاب النبي ﷺ هم المفلحون.

وقال تعالى يصفهم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

روى عروة بن الزبير قال: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً يتنقص من أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية حتى بلغ: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾، فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.

[الكفاية في معرفة علم الرواية للخطيب البغدادي: ٤٧].

وقال الله تعالى في سورة التحريم: ﴿ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

فهذه - كما ترى - شهادة رب العزة سبحانه وتعالى لأصحاب محمد ﷺ بالفضل والكرامة وكفى بها من شهادة.

٣- مكانة الصحابة في السنة النبوية المطهرة:

عن عمران بن حُصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران - راوي الحديث - فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، ثم إن بعدكم أناساً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن».

[البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)].

فهم رضوان الله تعالى عليهم خير الناس في خير القرون.

قال ابن حزم: «لا سبيل إلى أن يلحق أقلهم درجة أحدٌ من أهل الأرض».

[الفصل في الملل والأهواء والنّحل لابن حزم ١١٧/٤].

٤- هل يجوز سب أحد من أصحاب النبي ﷺ؟

لا يجوز سب أصحاب النبي ﷺ، ولا أحد منهم رضي الله عنهم، فقد روى البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود - واللفظ للترمذي - من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه».

وفي حياة النبي ﷺ لم يجز رسول الله ﷺ لأحد من أصحابه أن يتطاول على أحد منهم ولا أن يقتص لنفسه من أحد من السابقين، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يجز لعمر بن الخطاب رضي الله عنه - وهو من السابقين - أن يقتص لنفسه من أبي بكر رضي الله عنه - وهو من السابقين - وقال: «غفر الله لك يا أبا بكر».

[صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ: ٥/٥].

وفي رواية أحمد من طريق ربيعة بن كعب الأسلمي أن رسول الله ﷺ لم يجز لربيعة أن يقتص لنفسه من أبي بكر رضي الله عنه، بل قال لربيعة: «أحسنت ألا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر».

فإذا كان رسول الله ﷺ لم يجز ذلك لأصحابه فكيف نتجرأ نحن عليهم ونضع أنفسنا في مواطن الخصومة معهم؟!

٥- إجماع أهل الحق ممن يعتد بشهادتهم على عدالة الصحابة:

ذكر ابن تيمية في «الصارم المسلول» أن الإمام أحمد قال: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا أن يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك وجب تأديبه».

وقال الميموني: سمعت أحمد يقول: ما لهم ولمعاوية، نسأل الله العافية، وقال لي: يا أبا الحسن: إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه في إسلامه.

ولما سُئل رحمه الله: ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصبًا ؟ قال أبو عبد الله (يعني الإمام أحمد): هذا قول سوء رديء، يُجانَبُون هؤلاء القوم ولا يجالَسُون ونبين أمرهم للناس.

[السنة للخلال ٢/٤٣٤، وإسناده صحيح].

قال الإمام أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة».

[الإصابة لابن حجر ١٨/١].

هذه هي القضية إذًا، يريدون أن يجرحوا الصحابة ليبطلوا الكتاب والسنة، فهذا هو سرُّ هذه الهجمة الشرسة على أصحاب النبي ﷺ.

قال ابن عبد البر: «فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم، وثناء رسوله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه».

[الاستيعاب لابن عبد البر، هامش الإصابة: ٢].

قال ابن الصلاح: «للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدَّلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة».

[علوم الحديث: ٢٦٤].

وقال رحمه الله في «المقدمة»: «ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم كذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع ؛ إحسانًا للظن بهم ونظرًا إلى ما تمهد من المآثر، وكأن الله تعالى أتاح الإجماع على ذلك، لكونهم نقلة الشريعة، والله أعلم».

[المقدمة لابن الصلاح: ٤٢٦].

قال ابن كثير: «والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة».

وقال: وقول المعتزلة: الصحابة عدول إلا من قاتل عليًا قول باطل مردود.

وقال: وأما طوائف الرفض وجهلهم وقلة عقلهم ودعاويهم أن الصحابة كفروا إلا سبعة عشر صحابيًا - وسموهم - فهو من الهذيان بلا دليل. [اختصار علوم الحديث: ٢٢٠، ٢٢٢].

فهذه هي شهادة من يعتد بهم من أهل العلم للصحابة رضوان الله عليهم عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنفال: ١٩].

والله الموفق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

نواصل حديثنا حول التحية المباركة «السلام».

السلام على المرأة

سلام المرأة على المرأة هو سنة كسلام الرجل على الرجل، ورد السلام من المرأة على مثلها كالرد من الرجل على سلام الرجل.

وأما سلام الرجل على المرأة، أو المرأة على الرجل فللعلماء أقوال تتلخص في التالي:

الأول: جواز التسليم بشرط أمن الفتنة:

ذهب جمهور العلماء إلى مشروعية السلام على المرأة الأجنبية عند أمن الفتنة، وكذلك ردّ المرأة على الرجل بالسلام.

وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه: باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال، وساق حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: كانت لنا عجوز ترد إليَّ بُضاعة تحل بالمدينة فتأخذ من أصول السلق فتطرحه في قدر، وتكركر حبات من شعير، فإذا صلّينا الجمعة انصرفنا ونسلم عليها فتقدمه لنا...». ومعنى تكركر: أي تطحن.

قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على ترجمة هذا الباب: أشار البخاري بهذه الترجمة إلى ردّ ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير: بلغني أنه يكره أن يسلم الرجال على النساء والنساء على الرجال.

والمراد بجواز التسليم بين الرجال والنساء، أن يكون عند أمن الفتنة.

قال الحليمي: كان النبي ﷺ وسلم لعصمته مأمونًا من الفتنة، فمن وثق من نفسه بالسلامة، فليسلم، وإلا فالصمت أسلم، وقال ابن بطال عن المهلب: سلام الرجال على النساء: والنساء على الرجال جائز، إذا أمنت الفتنة.فتح الباري (١١/٣٥، ٣٦).

وروى أبو داود عن أسماء بنت يزيد قالت: مرّ علينا النبي ﷺ وسلم في المسجد يومًا وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده بالتسليم.

وأما إن كانت تلك المرأة شابة يخشى الافتتان بها أو يخشى افتتانها هي أيضًا بمن سلم عليها فالسلام عليها، وجواب السلام منها حكمه الكراهة عند المالكية والشافعية والحنابلة، وذكر الحنفية: أن الرجل يرد على سلام المرأة في نفسه إن سلمت هي عليه، وترد هي أيضًا في نفسها إن سلم هو عليها، وصرح الشافعية بحرمة ردها عليه.

[الموسوعة الفقهية ٢٥/١٦٦].

قال الإمام النووي: جماعة النساء يسلم الرجل عليهن، والواحدة يسلم عليها النساء، والزوج والسيد والمحرم سواء أكانت جميلة

قال الكوفيون: لا يشرع للنساء ابتداء السلام على الرجال، لأنهن منعن من الأذان والإقامة والجهر بالقراءة

أو غير جميلة، والمرأة العجوز التي لا تشتهى يستحب لها السلام عليه، ومن سلم منهما لزم الآخر رد السلام، والشابة أو العجوز المشتهاة لا تسلم على الأجنبي ولا يسلم عليها، ومن سلم لا يستحق الرد ويكره رد جوابه.

شرح مسلم (١٤/١٤٩).

الرأي الثاني: التسليم على المرأة العجوز دون الشابة:

ذهب الإمام مالك وبعض العلماء إلى جواز التسليم على العجائز دون الشابات لخوف الفتنة بحق الشابات، وانعدامها بالنسبة للعجائز، وهذا قول عطاء وقتادة، واستدل المالكية بحديث سهل السابق، ومنعوا السلام بالنسبة للشابة سدًا للذريعة ومنعًا للفتنة.

الرأي الثالث: منع السلام مطلقًا بين الرجل والمرأة:

قال الحافظ ابن حجر: قال الكوفيون: ويبدو أنه يريد بهم الحنفية لا يشرع للنساء ابتداء السلام على الرجال لأنهن منعن من الأذان والإقامة والجهر بالقراءة.

قالوا: ويُستثنى المحرم فيجوز لها السلام على محرمها. قال المتولي: إن كان للرجل زوجة أو محرم أو أمة فكالرجل مع الرجل.

فتح الباري (١١/٣٧).

بل يسن أن يسلم الرجل على أهل بيته ومحارمه، ورد السلام منهن عليه واجب.

الرأي الراجح:

ما ذهب إليه الجمهور أولى، وهو الرأي الأول، لقوة الأدلة فيه، وحديث مسلم أن أم هانئ بنت أبي طالب أتت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل وفاطمة تستره فسلمت.

فالجمال مظنة الفتنة، ولهذا كره الجمهور السلام عند خوفها، وقد تكون الشابة غير جميلة فلا يفتن بها، وقد تروق العجوز في عين من يقاربها، والناس يختلفون في تقديرهم، والنساء فتنة الفتن، والسلامة لا يعدلها شيء، وفي البعد عنهن خير كثير، وسلامة للقلب وطهارة له وزكاة للنفس وهو أرضى لله، هذا مجرد إلقاء السلام.

أما المصافحة للنساء، فالمصافحة: هي الإفضاء بصفحة اليد إلى صفحة اليد عند اللقاء والسلام تأكيدًا له وتوثيقًا، وقد فرق الإسلام بين الذكر والأنثى في المصافحة.

مصافحة الرجل للرجل سنة مجمع عليها عند التلاقي لا خلاف في ذلك، بل هي شعار المؤمنين الذين يمتازون به عن غيرهم، وتدل على كمال المحبة والأخوة والصفاء، وأجرها كبير عند الله تعالى.

أما مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية، وهي التي يحل له زواجها فهي حرام باتفاق الأئمة جميعًا، ويدخل في ذلك أخت الزوجة وعمتها وخالتها وبنت العم وبنت الخال، وزوجة الأخ... إلخ، وإذا كان النظر إلى المرأة الأجنبية محرمًا، فلا ريب أن لمس المرأة أشد تحريمًا.

والمسلم عليه أن يقتدي برسول الله ﷺ وبالصحابة والصالحين والعلماء العاملين،

ولقد نصت الأحاديث الصحيحة على أنه ﷺ لم يضع يده في يد امرأة أجنبية قط، فقد روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢]. قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك كلامًا، ولا والله ما مسَّت يدُه يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: قد بايعتك على ذلك».

وفي رواية مسلم: «انطلقن فقد بايعتكن، ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام، قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط، وكان يقول لهن: إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلامًا».

وروى الإمام مالك في الموطأ، والإمام أحمد في المسند، والترمذي وغيرهم من حديث أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها، أنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة بايعنه على الإسلام، فقلن: يا رسول الله، نبايعك على ألا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله ﷺ : «فيما استطعتن وأطقتن». قالت: والله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة - أو مثل قولي لامرأة واحدة».

قال الحافظ ابن حجر: إنه ﷺ بايع النساء بالكلام لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة. الفتح (٨/٤٤٩).

وقال الإمام النووي في شرحه للأحاديث: فيه أن بيعة النساء بالكلام من غير أخذ كف،

مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية (وهي التي يحل له زواجها) حرام باتفاق الأئمة جميعاً ويدخل في ذلك أخت الزوجة وعمتها وخالتها وزوجة الأخ... إلخ

وفيه أن بيعة الرجال بأخذ الكف مع الكلام، وقال: وفيه أنه لا يلمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة.

وروى الطبراني بسند حسن من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له».

فسنة الرسول ﷺ الامتناع عن مصافحة النساء الأجنبيات، والتحذير من لمسهن، وهي سنة تدعو إلى العفة والطهر والفضيلة، ومع ذلك خالف أناس كثيرون هذه السنة واتبعوا أهواء الذين لا يعلمون، وانتشرت مصافحة المرأة الأجنبية خاصة في المناسبات من أعياد وغيرها، ويعدون ذلك من باب المجاملة، ولا مجاملة على حساب الدين.

والحق أن هذا هوى للنفس، والنفس تميل إليه عند أهل الدنيا ومن لا حظ لهم من العمل بالسنة.

وقد انتشر أمر المصافحة بين الرجال والنساء الآن في كل حال لا سيما بين الجيران

والأصدقاء والأقارب والزملاء في العمل وصار أمرًا معروفًا.

وأما الامتناع عن المصافحة من المسلم الغيور العالم بدينه المراقب لربه، فذلك أمر منكر وشاذ.

والمسلم الصالح يعمل بدينه ويتبع طريق الحق وإن قل سالكوه ويرفض طريق الباطل وإن كثر الهالكون فيه.

وما على الإنسان إلا أن يكون صادقًا في نيته ماضيًا في عزيمته فلا يبالي بمن ضل عن الحق، ولا يبالي بالساخرين ما دام في ذلك رضا رب العالمين، وهو سبحانه وليه يكفيه شر الناس، وهو قادر على أن يرضيهم عنه.

[راجع: صلاح الأمة على هدي السنة ص٣٩].

وعليه لا يجوز مصافحة الرجال للنساء الأجنبيات سواء أكان الإنسان في زيارة لأقاربه أو جيرانه أو دخل على زميلة له في العمل، ولا يتعلل البعض بأن نيته سليمة لا يقصد لذة ولا يشعر بشيء عند المصافحة، أو أنه يصافح خشية إحراج المرأة إذا مدت يدها فردَّها.

والحق أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا أثر لغضب الإنسان أو رضاه، وما ذلك التعلل إلا من تزيين الشيطان الرجيم ومكره.

وشرع ربنا الحكيم لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر.

وقد يخلط بعض الناس بين حكم لمس المرأة الأجنبية ومصافحتها، وبين حكم نقض الوضوء من لمسها.

فللأئمة أقوال تتلخص في:

الشافعية والحنابلة: ينتقض الوضوء بلمس المرأة الأجنبية والزوجة.

الحنفية: لمس الزوجة والمرأة الأجنبية لا ينقض الوضوء مطلقًا.

المالكية: ينتقض الوضوء عند قصد الشهوة، أو وجود الشهوة ولو بدون قصد، وأما إذا لم يجد شهوة ولم يقصد شهوة، فلا ينقض وضوؤه.

وقد يكون الشيء حرامًا ولا ينقض الوضوء، فالكذب والغيبة والنميمة والنظر حرام، ومع ذلك فلا ينقض الوضوء. [المرجع السابق ص٣٥].

وللحديث بقية، بإذن الله تعالى.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

تهنئة

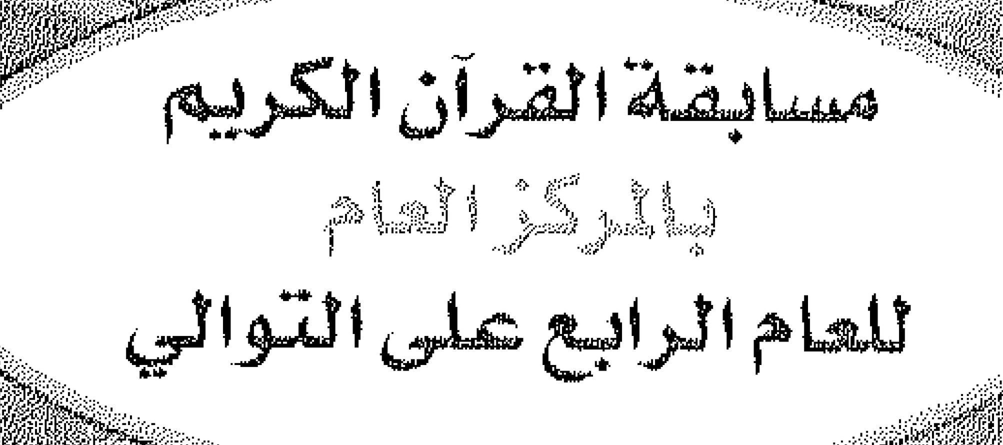
أسرة مجلة التوحيد تهنئ الأمين العام لجمعية أنصار السنة بفرع دروة، الأخ/ ممدوح وفاء شوقي حنفي لحصوله على درجة الدكتوراه من كلية الهندسة بشبرا- جامعة بنها، وتتمنى له المزيد من التقدم والرقي.

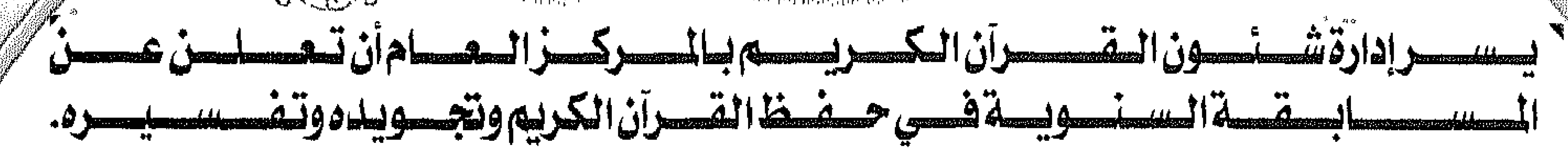
إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعية بالدقهلية بأنه قد تم قيد لائحة النظام الأساسي لجمعية أنصار السنة بزيان مركز بلقاس مقيدة برقم (١٥٦١) بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٢٣م، طبقًا للقانون (٨٤) لسنة ٢٠٠٢م بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

عزاء

توفي إلى رحمة الله تعالى فجر الثلاثاء ٣٠ أكتوبر الأستاذ الدكتور محمود النقراشي السيد علي، أستاذ التفسير بجامعة الأزهر فرع المنصورة، ودفن ببلده بني عبيد دقهلية، وأسرة المجلة تدعو الله العلي القدير أن يرحمه ويغفر له.





يسر إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام أن تعلن عن المسابقة السنوية في حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره.

أولاً: مستويات المسابقة

١- حفظ القرآن الكريم كاملاً مجودًا مع تفسير سورتي (الحجرات وق).
٢- حفظ القرآن الكريم كاملاً مجودًا.
٣- حفظ عشرين جزءًا مع التجويد (تطبيقًا عمليًا).
٤- حفظ عشرة أجزاء مع التجويد (تطبيقًا عمليًا).
٥- حفظ خمسة أجزاء مع التجويد (تطبيقًا عمليًا).

ثانيًا

يجري كل فرع من فروع أنصار السنة المحمدية اختبارات لطلابه ليرشح من خلالها طالبين وطالبتين في كل مستوى من مستويات المسابقة، ولا يقبل من أي فرع أكثر من هذا العدد.

ثالثًا: تجرى المسابقة حسب الجدول الآتي

١- يوم السبت ٩ / المحرم سنة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/١/١٩م اختبار المتسابقين في المستوى الأول.
٢- يوم الأحد ١٠ / المحرم سنة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/١/٢٠م اختبار المتسابقين في المستوى الثاني.
٣- يوم الاثنين ١١ المحرم سنة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/١/٢١م اختبار المتسابقين في المستوى الثالث.
٤- يوم الثلاثاء ١٢ المحرم سنة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/١/٢٢م اختبار المتسابقين في المستوى الرابع.
٥- يوم الأربعاء ١٣ المحرم سنة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/١/٢٣م اختبار المتسابقين في المستوى الخامس.

رابعًا: شروط المسابقة

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستويين الأول والثاني عن ثلاثين عامًا، وفي الثالث عن خمسة وعشرين عامًا، وفي الرابع عن عشرين عامًا، وفي الخامس عن خمسة عشر عامًا.
٢- ألا يكون قد سبق له الفوز في المستوى المتقدم للتسابق فيه أو الأعلى منه.
٣- يرفق المتسابق صورة الهوية التي تحمل تاريخ ميلاده.
٤- آخر موعد لقبول كشوف الأسماء من الفروع أول ذي الحجة سنة ١٢٤٨هـ.
٥- تقدم كشوف الأسماء بالمركز العام في الدور السادس (مكتب إدارة شئون القرآن)، وبالدور السابع بمجلة التوحيد.

خامسًا: جوائز المسابقة

المستوى الأول: الأول: ١٥٠٠ جنيه، والثاني: ١٣٠٠ جنيه، والثالث: ١١٠٠، والرابع: ٩٠٠ جنيه، والخامس: ٧٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ٥٠٠ جنيه لكل واحد منهم.

المستوى الثاني: الأول: ١٢٠٠ جنيه، والثاني: ١٠٠٠ جنيه، والثالث: ٨٠٠ جنيه، والرابع: ٦٠٠ جنيه، والخامس: ٤٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ٣٠٠ جنيه لكل واحد منهم.

المستوى الثالث: الأول: ٨٠٠ جنيه، والثاني: ٧٠٠ جنيه، والثالث: ٦٠٠ جنيه، والرابع: ٤٠٠ جنيه، والخامس: ٣٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ٢٠٠ جنيه لكل واحد منهم.

المستوى الرابع: الأول: ٦٠٠ جنيه، والثاني: ٥٠٠ جنيه، والثالث: ٤٠٠ جنيه، والرابع: ٣٠٠ جنيه، والخامس: ٢٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ١٠٠ جنيه لكل واحد منهم.

المستوى الخامس: الأول: ٥٠٠ جنيه، والثاني: ٤٠٠ جنيه، والثالث: ٣٠٠ جنيه، والرابع: ٢٠٠ جنيه، والخامس: ١٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ٥٠ جنيهًا لكل واحد منهم.

مع تمنيات إدارة شئون القرآن بالتوفيق للجميع

بادر .. أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء
من مالك ومن الزكوات أو
الصدقات لنشر التوحيد من
خلال المشاركة في الأعمال التالية :

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.
- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجميع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٥ سنة من المجلة.
- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد .. .. نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم

يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي
على بنك فيصل الإسلامي
فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد